الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique
UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA
faculté : des lettres et des langues

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستر

(أدب عربي جزائري)

مقاربة نقدية لكتاب الفرنكوفونية مشرقا ومغربا لعبد الله الركيبي

مقدمة من قبل:
مريم عطايلية

تاريخ المناقشة : جوان 2017

بشرى شمالي	رئيسا	الرتبة أستاذ مساعد –أ	جامعة 8 ماي 1945
سهام بودروعة	مقررا	الرتبة أستاذ مساعد –أ	الجامعة 8 ماي 1945
فوزية براهيمي	ممتحنا	الرتبة أستاذ مساعد –أ	الجامعة 8 ماي 1945

السنة: 2017

الإهداء

الحمد لله الذي وفقنا وأعاننا في إنجاز هذا العمل، ولم نكن لنصل إليه لولا فضله علينا.

أهدي هذا العمل إلى:

من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات إلى أغلى إنسان في هذا الوجود "أمي الحبيبة".

إلى من نظرته وهو يكابد في شموخ وتحد ظروف الدهر إلى روح أبي الطاهرة.

إلى إخوتي الأعزاء "لطفي"، "صالح"، "سمير"، وأختي سميحة، وإلى حسيبة ولطيفة إلى البراعم الصغار عبد النور، رتاج، عمار.

إلى كل أصدقائي، وبالأخص زملائي.

إلى جميع أقربائي وإلى جميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي.

"اللهم أسألك خير المسألة وخير الدعاء وأسألك فواتح الخير وخواتمه آمين"

شكر وعرفان

شكرا أولا لله عز وجل خالق هذا الكون، الذي أعاننا بقدرته، ووفقنا وأعطانا القوة على إتمام هذا العمل العلمي، فالحمد والشكر لله رب العالمين.

شكرا جزيلا للأستاذة المشرفة "سهام بودروعة" على نصائحها القيمة المقدمة لي، التي كانت سببا في نجاح هذا المجهود العلمي، دون أن ننسى أساتذتنا الكرام في قسم اللغة العربية وآدابها.

المقدمة

المقدمة:

ساهم الاستعمار في بروز عدة ظواهر ثقافية مختلفة، فكان له بالغ الأثر على الثقافة واللغة، ومن أهم الظواهر البارزة التي خلفها الاستعمار، الفرنكوفونية كظاهرة عالمية مست الدول المستعمرة من قبل فرنسا، فأثرت على ثقافة ولغة هذه الشعوب، ونخص بالذكر البلدان العربية في المشرق والمغرب، باختلاف شدة التأثر بينهما (المشرق والمغرب)، وقد تناول العديد من النقاد هذه الظاهرة، ونخص بالذكر الناقد الجزائر "عبد الله الركيبي" الذي أفرد لها كتابا كاملا نظرا لأهميتها وأثرها على هذه المجتمعات، ومن أجل الوقوف على أهمية وقيمة هذا الكتاب والتعمق في هذه الظاهرة وكيف قام هذا الناقد بمعالجتها؟، وهل أحاط بجميع جوانبها المختلفة؟، اخترت كتاب "الفرنكوفونية مشرقا ومغربا لعبد الله الركيبي" فكان عنوان المذكرة: "مقاربة نقدية لكتاب الفرنكوفونية مشرقا ومغربا لعبد الله الركيبي"، والهدف من هذه الدراسة هو الإحاطة بجوانب هذه الظاهرة ومعرفة مدى أثرها على الثقافة واللغة في المشرق العربي والمغرب العربي وكيف تعامل معها الناقد؟ ولماذا تغلغلت في بلدان المغرب العربي وكانت ذات أثر بارز على الثقافة واللغة في هذه البلدان أكثر من بلدان المشرق العربي؟

وإختياري لهذه المدونة تحديدا هو تحقيق السبق لأنها لم تدرس من قبل، وأحببت أن أثري هذا الموضوع، وكون هذا الكتاب لناقد كبير جزائري له العديد من الإسهامات في النقد والأدب الجزائري.

وليكون هذا البحث منهجيا، ويصل إلى أهدافه المرجوة، اعتمدت خّطة مكوّنة من مقدمة، ومدخل وفصلين، وخاتمة، ولكلّ فصل عناصر وكلّ عنصر يعالج فكرة معينة.

فالمدخل بعنوان مرتكزات البحث وإجراءاته، حيث تناولت التعريف بالمخاطب "عبد الله الركيبي"، وعرفت بالخطاب "كتاب الفرنكوفونية مشرقا ومغربا"، ومنهجية البحث.

أمّا الفصل الأوّل والذي عنوانه قراءة في الباب الأول (الفرنكوفونية بين السياسة والثقافة)، تحدثت فيه عن النقد الأدبي الجزائري القديم ثم النقد الأدبي الجزائري الحديث، وبعد ذلك تناولت مفهوم الفرنكوفونية ، ثم بين الفرنكوفونية و الأنجلوسكسونية، الفرنكوفونية نشأتها

وتطورها، جذور الفرنكوفونية وارتباطها بالفكر الإقليمي في المغرب العربي، الفرنكوفونية بين الأدب والثقافة في المغرب العربي.

أمّا الفصل الثاني الذي عنوناه بقراءة في الباب الثاني والثالث من كتاب (الفرنكوفونية في الجزائر ونماذج تطبيقية من المشرق والمغرب)، تناولت فيه الفرنكوفونية في الجزائر وموقفها من الاتجاه القومي، نموذجان للتطبيق من المشرق والمغرب، "طه حسين والثقافة"، "طه حسين واللغة"، "مصطفى الأشرف والثقافة"، "مصطفى الأشرف واللغة"، وفي الأخير خاتمة.

واعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي لأن هذا المنهج يهدف إلى اكتشاف الظاهرة ومناقشتها وتحليلها، واستعنت في بحثي هذا بمجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- كتاب أصول النقد الأدبي لأحمد شايب.
- دراسات في الأدب الجزائري الحديث لأبو القاسم سعد الله.
- الأدب الجزائري باللسان الفرنسي لأحمد منور.
- القصة الجزائرية القصيرة لعبد الله الركيبي.
- معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين لشريبط أحمد شريبط وآخرون، بالإضافة إلى كتب ومقالات أخرى تخدم الموضوع.

ولعل أهم عقبة واجهتني أثناء دراستي هذه تمثلت في انعدام دراسات سابقة لهذا الكاتب، وكذلك ضيق الوقت حال دون العودة إلى كل المصادر والمراجع التي تتحدث عن الفرنكوفونية، وأكتفي بنية الاجتهاد راجية أن يكون هذا العمل متصفا بالجدية اللازمة وموفقا في تحقيق أهدافه والله الموفق.

مدخل

مرتكزات البحث وإجراءاته

1-المخاطِب: [عبد الله خليفة الركيبي]

2-الخطاب: [كتاب الفرنكوفونية مشرقا ومغربا]

3-منهجية البحث

تمهيد:

لقد عرفت الساحة الأدبية والنقدية في الجزائر في العصر الحديث تطورا ملحوظا، حيث ظهر في الساحة النقدية عدة قامات فكرية عاشت محنة الوطن، وعانت وطأة الاستعمار وظلمه واستبداده، مما أثر في لغتهم وفي امتدادهم العربي الإسلامي، وقبل أن ينهض هذا الوطن من ظلمات الاستعمار وجد نفسه واقعا في محنة أخرى وهي محنة العشرية السوداء، ولكن كل هذه المحطات المؤلمة لم تقف حاجزا أمام النقاد الجزائريين الذين سعوا إلى وضع المعالم الأولى للنقد والفكر والثقافة الجزائرية العربية.

1-المخاطِب: [عبد الله خليفة الركيبي][1]

ولد الدكتور عبد الله خليفة الركيبي في بلدة (جمورة) ولاية بسكرة، الجزائر عام 1928م، وسجل في الحالة المدنية عام 1930م، تلقى دراسته الابتدائية باللغة العربية والفرنسية ببلدية (جمورة).

أخرجه والده في بداية الحرب العالمية الثانية من المدرسة الفرنسية لما أحس بأنه بدأ يميل إلى الثقافة الفرنسية، وفي عام 1946م ذهب إلى تونس وانتسب إلى جامع الزيتونة، وتخرج منه في 6 نوفمبر 1954م، متحصلا على شهادة التحصيل، فرجع إثر ذلك إلى الجزائر ولم يلبث أن التحق بالثورة التحريرية في يوم 17 ديسمبر 1954، بسبب علاقته بالبطل الشهيد مصطفى بن بوالعيد.

وقد ألقت السلطات الاستعمارية القبض عليه في يوم 7 مارس 1956م، فاعتقل في سجن (أفلو)، وأرغم بعد ذلك على الإقامة الجبرية بمدينة بسكرة، ولكن سرعان ما فر منها، ملتحقا بصفوف الثورة في الجبل، حيث بقي فيه لمدة ستة أشهر، انتقل بعدها إلى تونس، فعمل موظفا بالمدرسة الصادقية، ثم أرسلته جبهة التحرير إلى القاهرة فنال فيها الإجازة عام 1964م.

[1] شريبط أحمد شريبط وآخرون، معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية مخبر الآداب المقارن، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر، (د.ط) . (د.ت)، ص (207-208).

ومن أنشطته الوطنية في القاهرة رئاسته للجنة الطلبة الجزائريين، عاد إلى الوطن في 1964م، فاشتغل أولا مدرسا بالمعهد الوطني التربوي بمدينة الجزائر ثم بثانوية حسين داي (1965م- 1966م)، وحضر خلال هذه السنوات (1964م-1967م)، رسالة الماجستير حول «القصة الجزائرية القصيرة» بجامعة القاهرة.

انتسب في عام 1967م إلى أسرة معهد اللغة والأدب العربي بجامعة الجزائر، وحضر أثناء ذلك رسالة دكتوراه، حيث تحصل عليها عام 1972م حول موضوع «الشعر الديني الجزائري الحديث»، كتب أول قصة قصيرة بعنوان "الكاهنة" وهو طالب بجامع الزيتونة وقد نال الجائزة الأولى في مسابقة أدبية شارك فيها 65 كاتبا.

كتب بعد ذلك مجموعة من القصص جمعها في كتاب بعنوان «نفوس ثائرة» نشرته الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع عام 1962.

رئيس لجنة الفكر والثقافة التي كونها حزب جبهة التحرير الوطني من 1973م إلى عام 1976م، كما شغل منصب أمين عام مساعد لاتحاد الكتاب الجزائريين من 1974م إلى 1982م.

أشرف على بحوث جامعية عديدة، وأسهم في مناقشة الكثير من الرسائل والأطروحات الجامعية.

- شغل منصب ملحق ثقافي بالسفارة الجزائرية بدمشق، سوريا.
- عين لفترة سفير للجزائر بالقاهرة، جمهورية مصر العربية.
- شغل في السنوات الأخيرة عضوية مجلس الأمة، الجزائر.

صدرت له عدة كتب منها:

1. مصرع الطغاة (مسرحية)، تونس 1959م.
2. دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، القاهرة 1961م.
3. نفوس ثائرة (مجموعة قصصية)، القاهرة 1963م.
4. القصة الجزائرية القصيرة (دراسة) ط3، ليبيا، تونس عام 1977م.

5. قضايا عربية في الشعر الجزائري الحديث، القاهرة 1970م.

6. تطور النثر الجزائري الحديث، ليبيا، تونس، 1978م.

وهو أول برلماني جزائري ينجز دراسة غير مسبوقة بعنوان «حاجتنا إلى الثقافة سياسة وهل لمجلس الأمة دور فيها»، وكان أول من تناول ظاهرة الفرنكوفونية بمنهج واضح وتحليل موضوعي في مصنفه القيم «الفرنكوفونية مشرقا ومغربا» الذي أثار ضده خصوم الحرف العربي في الجزائر ودوائرهم النافذة.

وقد فارقنا الدكتور "عبد الله الركيبي" ليلتحق بالرفيق الأعلى يوم 19 إبريل 2011م، ودفن بمقبرة سيدي يحيى بالجزائر العاصمة يوم 20 بحضور رموز الجزائر الفكرية والسياسية والإعلامية.

2-الخطاب: [كتاب الفرنكوفونية مشرقا ومغربا]:

لقد نشر كتاب الفرنكوفونية مشرقا ومغربا للدكتور "عبد الله الركيبي" سنة 2009 بدار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع الكائن مقرها بالقبة – الجزائر، هذه الدار التي تقوم سنويا بإصدار عناوين مختلفة بين ما هو تاريخي، روايات وكتب أخرى خاصة في النقد، وهي حاضرة في فعاليات الصالون الدولي بمختلف طبعاته، حيث تلقى إقبالا كبيرا من مختلف الشرائح الذي يستقطبهم الكتاب الجزائري وهي تحت إدارة "مهند الجهماني".

ومن هؤلاء النقاد "عبد الله الركيبي" الذي جل كتابته تحوم حول الأدب والثقافة في الجزائر،والوطن العربي، وقد استطاع أن يسهم بفكره في إثراء الساحة الأدبية والنقدية، بإبداعاته الفنية المختلفة ودراساته النقدية المتنوعة[1].

تقديم الكتاب: فبعد أحداث أكتوبر 1988م في الجزائر وما فجرته من ظواهر وأثارته من قضايا تتصل بالفكر والثقافة والأدب، وحين بدأ تطبيق نظام التعددية عاد الحديث وبقوة عن النهضة،

[1] أحمد طالب، الأدب الجزائري الحديث (المقال القصصي والقصة القصيرة)، دار المغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2007، ص32.

والطرق التي تساعد على التقدم والخروج من التخلف، كثر الحديث عن مكانة اللغة العربية في هذه المرحلة، وظهرت ثغرات قبلية وجهوية متعصبة وبدت الإقليمية بصورة واضحة غير معهودة ونتيجة لهذا ثارت في ذهن الكاتب العديد من الأسئلة منها:

هل الفرنكوفونية في المغرب العربي خاصة قد أفادت أو أثرت الثقافة العربية؟، أم أنها أغنت الثقافة التي تكتب باللغة الفرنسية والإبداع الذي يصدر بها؟ ولماذا يستميت ذو الثقافة الفرانكفونية عندنا – أي المغرب العربي– في الدفاع عن الفرنسية، وبانفعال زائد أحيانا كثيرة؟، و لماذا يكون حديثهم عن العربية والدفاع عنها حين يثار موضوع التعريب يبدو مجرد عاطفة أقرب إلى الرثاء منها إلى الدفاع الحار الصادق عنها والعمل على ترقيتها ونشرها في مختلف مجالات الحياة؟

و بالطبع عندما تثار هذه الأسئلة وغيرها نجد أنفسنا مجبرين على الحديث عن التاريخ والحضارة والفكر والسياسة والأدب والثقافة، لأننا نتحدث عن الإنسان ونوازعه المادية والروحية وعن مصالحه ومثله وعن القضايا التي تمس حياته وحياة الأجيال القادمة، فهي إذن قضايا قديمة وجديدة.

وهذه الدراسة تحاول أن تجيب عن هذه الأسئلة الكثيرة التي تتعلق بالموضوع أو عن بعضها على الأقل من منظور موضوعي بحت، لا يخضع لتحزب، أو غرض، أو أفكار مسبقة، وهدف صاحبها – عبد الله الركيبي– الإسهام في الحوار الدائر –مشرقا ومغربا– حول المحاور التي لها صلة بتعريب الفكر واللغة والهوية وأصالة المعتقد ووحدة الأمة، وما يتفرع عن كله ويجسد حياتنا في الأزمنة الثلاثة التي بها يتحقق وجودنا وتتشكل ملامح مجتمعنا الذي نصبو إليه ونعمل على تحقيقه.

أما فيما يخص محتوى الكتاب فهو مكون من ثلاثة أبواب أعطى لكل باب اسما، وفي كل باب عدة فصول، ففي الباب الأول المعنون "بالفرنكوفونية بين السياسة والثقافة والأدب" أدرج ضمن هذا الباب أربعة فصول:

الفصل الأول: بين الفرنكوفونية والأنجلوسكسونية.

الفصل الثاني: الفرنكوفونية: نشأتها وتطورها.

الفصل الثالث: جذور الفرنكوفونية وارتباطها بالفكر الإقليمي في المغرب العربي.

الفصل الرابع: الفرنكوفونية بين الأدب والثقافة في المغرب العربي.

أما الباب الثاني الذي عنونه بالفرنكوفونية في الجزائر وموقفها من الاتجاه القومي الذي أدرج ضمنه فصلين:

الفصل الأول: الوجه القديم للفرنكوفونية قبل 1988.

الفصل الثاني: الوجه الجديد للفرنكوفونية بعد 1988.

أما في الباب الثالث أعطى نماذج تطبيقية من المشرق والمغرب وعنونه تحت: نموذجان للتطبيق من المشرق والمغرب، ويتضمن أربعة فصول:

الفصل الأول: طه حسين والثقافة.

الفصل الثاني: طه حسين واللغة.

الفصل الثالث: مصطفى الأشرف والثقافة.

الفصل الرابع: مصطفى الأشرف واللغة.

3-منهجية البحث:

لقد ارتأينا في هذا البحث أن نعتمد المنهج التحليلي الوصفي الذي يهدف إلى وصف وتحليل المحتوى بجوانبه الشكلية والموضوعية، حيث يتسم بالموضوعية والتحليل المعمق للظاهرة المدروسة للكشف عن المعاني الكامنة.

ويعتبر هذا المنهج مظلة واسعة ومرنة تتضمن عدة مناهج وأساليب فرعية، وذلك يساعدنا على رصد الظاهرة المدروسة المتمثلة في الفرنكوفونية في المشرق والمغرب وارتباطها ببعضها البعض، والبحث عن أسبابها وتحليلها وتفسيرها بمنظور علمي منظم من أجل الوصول إلى نتائج.

الفصل الأول

قراءة في الباب الأول

(الفرنكوفونية بين السياسة والثقافة والأدب)

المبحث الأول: بين الفرنكوفونية والأنجلوسكسونية

المبحث الثاني: الفرنكوفونية: نشأتها وتطورها

المبحث الثالث: جذور الفرنكوفونية وارتباطها بالفكر الإقليمي في المغرب العربي

المبحث الرابع: الفرنكوفونية بين الأدب والثقافة في المغرب العربي

الفصل الأول

قراءة في الباب الأول

(الفرنكوفونية بين السياسة والثقافة والأدب)

المبحث الأول: بين الفرنكوفونية والأنجلوسكسونية

المبحث الثاني: الفرنكوفونية: نشأتها وتطورها

المبحث الثالث: جذور الفرنكوفونية وارتباطها بالفكر الإقليمي في المغرب العربي

المبحث الرابع: الفرنكوفونية بين الأدب والثقافة في المغرب العربي

الفصل الأول

قراءة في الباب الأول

(الفرنكوفونية بين السياسة والثقافة والأدب)

المبحث الأول: بين الفرنكوفونية والأنجلوسكسونية

المبحث الثاني: الفرنكوفونية: نشأتها وتطورها

المبحث الثالث: جذور الفرنكوفونية وارتباطها بالفكر الإقليمي في المغرب العربي

المبحث الرابع: الفرنكوفونية بين الأدب والثقافة في المغرب العربي

الفصل الأول

قراءة في الباب الأول

(الفرنكوفونية بين السياسة والثقافة والأدب)

المبحث الأول: بين الفرنكوفونية والأنجلوسكسونية

المبحث الثاني: الفرنكوفونية: نشأتها وتطورها

المبحث الثالث: جذور الفرنكوفونية وارتباطها بالفكر الإقليمي في المغرب العربي

المبحث الرابع: الفرنكوفونية بين الأدب والثقافة في المغرب العربي

الفصل الأول

قراءة في الباب الأول

(الفرنكوفونية بين السياسة والثقافة والأدب)

المبحث الأول: بين الفرنكوفونية والأنجلوسكسونية

المبحث الثاني: الفرنكوفونية: نشأتها وتطورها

المبحث الثالث: جذور الفرنكوفونية وارتباطها بالفكر الإقليمي في المغرب العربي

المبحث الرابع: الفرنكوفونية بين الأدب والثقافة في المغرب العربي

تمهيد:

لقد عملنا على تقسيم الفصل الأول المعنون بـ: قراءة في الباب الأول (الفرنكوفونية بين السياسة و الثقافة والأدب) إلى أربعة مباحث، ففي المبحث الأول نتناول الفرق بين الفرنكوفونية والأنجلوسكسونية في التأثير على المستعمر وعنوانه يبين الفرنكوفونية و الأنجلوسكسونية، أما المبحث الثاني نتناول فيه تاريخ الفرنكوفونية ونشأتها وتطورها وهذا تحت عنوان نشأة الفرنكوفونية وتطورها، ثم المبحث الثالث الذي نركز فيه على الفرنكوفونية في المغرب العربي وهذا المبحث معنون بـ: جذور الفرنكوفونية وارتباطها بالفكر الإقليمي في المغرب العربي، وأخيرا المبحث الرابع المعنون بـ: الفرنكوفونية بين الأدب والثقافة في المغرب العربي.

1- النقد الأدبي الجزائري القديم:

ارتبط النقد الأدبي منذ القديم بالنشاط الأدبي، فالنقد والأدب وجهان لعملة واحدة، فالنقد رفيق الأدب به يمكن التمييز بين الجيد والرديء، فهو: «دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها، أو المقابلة ثم الحكم عليها لبيان قيمتها ودرجتها»[1].

والنقد الجزائري شبيه بالنقد العربي من حيث الانتشار والتطور، حيث عرف فترات خمول وسبات، فقد حاول العديد من رواده الأخذ بيده للوصول إلى مسار النقد الأدبي، فهناك منذ القديم محاولات في النقد الأدبي ساهمت في تطور الحركة النقدية في الجزائر، ويمكن عدها محاولات بسيطة تتلاءم مع الإنتاج الأدبي في ذلك الوقت: «فما دمنا نعترف بوجود محاولات في الأدب، فمن الحق أن نعترف كذلك بوجود محاولات أخرى تتلاءم مع المستوى الفني لإنتاجها الأدبي»[2].

---

[1] أحمد شايب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ط3، 1946، ص114.

[2] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص80.

فقد برز في السّاحة النقدية الجزائرية عدة نقاد عالجوا قضايا مختلفة ومتنوعة، نذكر من بينهم الناقد الكبير "عبد الكريم النهشلي" (ت: 405هـ)، الذي اهتم بدراسة الشّعر وتصنيفه والموازنة أي المفاضلة، حيث وازن بين العديد من الشّعراء، وتناول عدة قضايا أخرى ونجد، ونجد كذلك "ابن رشيق القيرواني" وكتابه العمدة في صناعة الشعر ونقده الذي رأى أن: « الشعر أكبر علوم العرب وأوفر حظوظ الأدب، وأحرى أن تقبل شهادته »[1]، فالشعر من أهم علوم العرب وأقدمها، فقد نال حظا وافرا من حيث النظم وكذلك الدراسة، فهو يعتبر دستور العرب ومخلد لتاريخها.

ثم يأتي "أبو العباس الغبريني" (ت: 704 هـ)، الذي ألّف كتابا وسمه بـ: "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، حيث يقول فيه: « أني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة السابعة التي نحن في بقية العشر الذي هو خاتمتها، ختمها الله بالخيرات وجعل ما بعدها مبداء للمسرات، أذكر منهم من اشتهر ذكره، ونبل قدره، وظهرت جلالته وعرفت مرتبته في العلم ومكانته»[2].

2- النقد الأدبي الجزائري الحديث:

إنّ النقد الجزائري الحديث يعاني من عدة أزمات، أزمة في التأسيس، أزمة في المنهج، وأزمة في المصطلح، فقد سعى مجموعة من النقاد أمثال: "بلقاسم سعد الله، عبد الله الركيبي، محمد مصايف وعبد المالك مرتاض" إلى تطوير النقد الجزائري والأخذ بيده لتجاوز هذه الأزمات التي يعاني منها الخطاب النقدي الجزائري خاصة والعربي عامة، فقد عملوا على التأسيس للنقد الجزائري وكذلك عملوا على تحديث التجربة النقدية، حيث بدأت تظهر ملامح نقدية جديدة في الدراسات النقدية الجزائرية الحديثة « وفي ضوء هذا التصور الجديد دخل "عبد

[1] ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تج: د/ النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، ج1، ط1، 2000، ص17.

[2] أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تج: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979، ص55.

المالك مرتاض" عالم المناهج النقدية الحديثة التي تهب النص كينونته اللغوية المستقلة متحججا بأحدث المفاهيم الألسنية»[1]، حيث طبق "عبد المالك مرتاض" المناهج النقدية الحديثة على النص الأدبي العربي، مستخدما مصطلحات نقدية جديدة، ومن أهم القضايا والمواضيع التي طرحت في الساحة الأدبية والثقافية نجد: الشعر، المسرح، التناص، الإيقاع، الانزياح، الصورة الشعرية والفرنكوفونية أو الأدب المكتوب بالفرنسية، الذي أسال حبر أقلام النقاد، فتناولوا هذه الظاهرة بالتفصيل والنقاش المفصل.

3- الفرنكوفونية:

يعدّ مصطلح "الفرنكوفونية" من المصطلحات الحديثة، فقد ظهر هذا المصطلح لأول مرة في القرن التاسع عشر، وازداد المنتمون إليها.

فرنكوفونيّة [مفرد][2]

الفرنكوفونيّة:(سة) رابطة تضمّ الدّول والشعوب التي تحدث بالفرنسية كلغة رسمية، أو حتى لغة عادية، وقد ظهر هذا المصطلح لأول مرة في القرن التاسع عشر « ازداد المنتمون إلى الفرنكوفونية في الحقبة الماضية».

وفي تعريف آخر للفرنكوفونية أو شرح لها: «الفرنكوفونية، بمعناها البسيط، تفيد مجرد التحدث باللسان الفرنسي، لكنها تحمل دلالة أخرى تفيد مجتمعات الناطقين بالفرنسية، سواء أكانت انتماءاتهم العرقية والدينية، ثم ما لبثت الفرنكوفونية أن ضمت دولا من القارات الخمس بلغ عددها 54 دولة، وحملت معنى سياسيا حين أنشئت المنظمة الدولية للفرنكوفونية»[3].

---

[1]يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر الأنسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، ط1، د ت، ص29.

[2]أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 2008، مج3، مادة: ف ر ن ك و ف و ن ي ي ة، ص1702.

[3]جيروم شاهين، هل الفرنكوفونية لغة أو سياسة؟، جريدة المستقبل، بيروت، لبنان، الثلاثاء 13 كانون الأول، 2011، ص19.

والفرنكوفونية بمعناها البسيط هي:« المؤسسة التي تعني عناية خاصة بمن يتكلم الفرنسية، سواء كلغة أم أو كلغة ثانية، والسعي إلى تعزيز هذه الخاصية والحفاظ عليها والمساهمة في إبراز إيجابياتها على الأصعدة السياسية والثقافية والاقتصادية، وهي تضم كمنظمة 56 دولة، كما أنّ الفرنكوفونية لا تقتصر على الدول الأعضاء ومؤتمراتهم، بل أن هناك عشرات لا بل مئات الجمعيات والتنظيمات المحلية في هذه الدول، التي تقوم على نحو أكثر تركيزا ببث اللغة الفرنسية وإبراز ثقافتها وإنتاجها»[1]، فكلّ التعاريف تجتمع في أن الفرنكوفونية مجموعة الشعوب الناطقة بالفرنسية.

ومن أهم النقاد الذين تناولوا هذه الظاهرة و تحدثوا عنها بالتفصيل نجد "مالك حداد"[2] في كتابه "الأصفار تدور في فراغ"، حيث يقول فيه: «إنّ عبارة كاتب جزائري تحمل في نهاية المطاف غموضا، من حيث أننا لا نتفق على مضمونها ولا حتى على كلمة جزائري أو على صفة جزائري، إن الكاتب هو نتاج التاريخ أكثر منه نتاج التاريخ أكثر منه نتاج الجغرافيا، فالجغرافيا احتمال، أما التاريخ فلا، إنني أرى أن كل هذا الغموض وهذه المعاناة في البحث عن تعريف نشأت من مأساة اللغة، وهذه المأساة تأتي من التعبير الفرنسي لكتاباتنا»[3].

---

[1]عبد الإله بلقزيز، الفرنكوفونية- أيديولوجيا، سياسة، تحد ثقافي، لغوي، حلقة نقاشية نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيت النهضة، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص7-8.

[2]مالك حداد: من مواليد 05-07-1927م بقسنطينة، عمل معلما لفترة قصيرة، تنقل عبر مدن وبلدان عدة منها: باريس، القاهرة، لوزان، تونس، موسكو، نيودلهي وغيرها، اشتهر «بمقولته الفرنسية منفاي».
عاد بعد الاستقلال إلى أرض الوطن، وأشرف في قسنطينة على الصفحة الثقافية بجريدة النصر، ثم انتقل إلى العاصمة ليشغل منصب مستشار، ثم مدير للآداب والفنون بوزارة الإعلام والثقافة، أسس سنة 1969م مجلة أمال، أول أمين عام لاتحاد الكتاب الجزائريين في الفترة ما بين 1974-1978م، توفي في 02-06-1978م، من مؤلفاته بالفرنسية: الشقاء في خطر (شعر 1956م)، الانطباع الأخير (رواية 1958م) ... وغيرها، وقد ترجمت أغلب الأعمال إلى اللغة العربية، ينظر مقال لـ"أحمد الجزائري": مالك حداد، منتدى الأدب والثقافة الجزائرية، نشر بـ جوان 2008م.

[3]مالك حداد، الأصفار تدور في فراغ، تر: أحمد منور، دار الألمعية، الجزائر، ط1، 2012، ص52.

يدعو "مالك حداد" إلى تحديد مفهوم "الجزائري" كمفهوم تاريخي وليس جغرافي، فإن العيش في مكان لا يعني بالضرورة الانتماء إليه إن لم يكن لوجوده امتدادا في التاريخ.

كما تحدث الناقد الكبير "عبد المالك مرتاض" عن هذا الأدب أي الأدب المكتوب بالفرنسية فقال: «إن هذا الأدب غريب في نفسه، ومنفي عن وطنه الذي كتب فيه، ولم يستطع أن يلعب دورا كبيرا في نهضة الأدب المعاصر بالجزائر، فضلا عن أن يلعب دورا خطيرا في إذكاء نار الثورة التي قيضت للشعب الجزائري أن يكسر قيود الاستعمار الثقيلة»[1]، فإن هذا الأدب له وجهان، وجه سلبي كونه لم يساهم في نهضة الأدب المعاصر بالجزائر، ووجه إيجابي كونه عرف بالثورة الجزائرية في الأقطار الخارجية.

كذلك الدكتور "أحمد منور"[2]، الذي ألف كتابا كاملا يتحدث فيه عن الأدب المكتوب بالفرنسية، أسماه الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه، فتحدث بإسهام عن هذا الأدب وظروف نشأته، فيقول في مقدمته: «هناك سبب موضوعي جعلني أهتم بهذا الأدب، وأنتقل من مجرد قراءته قراءة استهلالية إلى مرجم ودراس له بعد ذلك، ألا وهو ما لاحظته من قلة اهتمام الجزائريين بترجمته أو دراسته أو الكتابة عنه»[3]، فالجزائريون أهملوا هذا الأدب كونه بلغة غير لغتهم، فلم يدرسوه ولم يكتبوا عنه إلا القليل منهم.

---

[1] مرتاض عبد المالك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، شركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر, ط2، 1983، ص6.

[2] أحمد منور: ولد أحمد منور في يوم 6 أكتوبر 1945م بولاية جيجل، الجزائر، وتعلم مبادئ اللغة العربية في كتاب قريته، ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة حيث واصل دراسته في إطار التعليم الحر والتعليم الرسمي في آن واحد، اشتغل بالتعليم لمدة، ثم انقطع عنه لمتابعة الدراسة بقسنطينة، ثم انتسب إلى معهد اللغة والأدب العربي في جامعة الجزائر، وتخرج فيها بشهادة ليسانس في الأدب العربي، ثم نال دبلوم الدراسات المعمقة من جامعة السربون بفرنسا. ينظر إلى شريبط أحمد شريبط وآخرون، (م س)، ص59.

[3] أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره وقضاياه، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013، ص3.

كما نجد الناقد "عبد الله الركيبي" في كتابه "القصة الجزائرية القصيرة" يتحدث عن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية فيقول: « وجملة القول فإن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية قد أوجد لظروف وأسباب في مرحلة معينة، وهو إن كتب بلغة أجنبية فإنه عبر عن مضمون جزائري وواقع وطني، الأمر الذي يجعل منه أدبا محليا وطنيا»[1].

كما أفرد "عبد الله الركيبي" لظاهرة الفرنكوفونية كتاب كامل يتحدث فيه عن هذه الظاهرة في المشرق والمغرب العربي، متطرقا إلى جميع جوانبها بالشرح والتحليل، وأطلق على الكتاب اسم الفرنكوفونية مشرقا ومغربا ونحن في صدد دراسته.

[1] عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1983، ص249.

المبحث الأول: بين الفرنكوفونية والأنجلوسكسونية

لا بد أن نهتم بالمناخ الثقافي العام الذي تعيشه الثقافة العربية اليوم، والموقف من اللّغة العربية بشكل خاص في منطقة المغرب العربي، والصراع الذي مازال قائما بين الثقافة الفرنسية والثقافة العربية وحول مفهوم الوطنية هل هي العربية أم غيرها، فرغم التحرر من الاستعمار الفرنسي إلا أن عقولنا مازالت منقادة فكريا وثقافيا ولغويا لهذا الاستعمار، فهي لم تستفق بعد من هذا التأثر.

وعلى خلاف الوضع في المغرب فإن أشقاءنا في المشرق العربي قد تجاوزوا هذا الصراع منذ أكثر من نصف قرن، كالتي تعرضت للاستعمار الفرنسي أو الاستعمار الانجليزي وغيرهما، فهم يناقشون اللغة من عدة جوانب، ويسعون إلى إيجاد وسائل حديثة للنهوض بها، فقد تجاوزوا أمر الشك فيها وفي قدرتها، أما في الجزائر فقد تراجعت اللغة العربية كثيرا لدى المثقفين والسياسيين وبعض الكتاب والأدباء، فلا يهم نوع الاستعمار أو البلد المستعمر، فكلها واحد تهدف إلى سلب إحساس الإنسان بكرامته وإنسانيته، وكذلك التأثير الفكري والثقافي واللغوي على الشعوب المستعمرة، ويهمنا هنا بلدان المغرب العربي وكيف تمسك الفرنكوفونيون في هذه البلدان باللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية خاصة في الجزائر، على خلاف بلدان المشرق، ولماذا لا يتمسك المثقفون بالإنجليزية باللغة الإنجليزية وما السبب؟، وما هي العوامل التي جعلت النظرة إلى اللغة تختلف بين الفرانكوفونيين والأنجلوسكسون؟، وللوصول إلى أجوبة عن كل هذه التساؤلات لا بد أن نغوص في أعماق الواقع حتى نصل إلى حكم معين، ولنتجاوز هذه المرحلة وسعي إلى تطوير هذه اللغة.

ففي المغرب العربي وخاصة في الجزائر يتعصبون للغة الفرنسية أكثر من الشعوب الأخرى التي تعرضت إلى نفس الاستعمار، وهذا الأمر يجعلنا نطرح العديد من الأسئلة عن سبب هذا التعصب، فهل هذا التعصب له علاقة بالتفكير، وهل تختلف اللغات في التأثر، وهل جنس الاستعمار له دخل في ذلك وعدة أسئلة أخرى، وكل هذه الأسئلة تحتاج إلى إجابة مقنعة

ليستفيد منها الأجيال القادمة وللخروج من هذا الصراع القائم بين اللغتين للحفاظ على القيم ومقومات العروبة.

فيجب أن نناقش هذه الظاهرة بعيدا عن التعصب وتحليل الظروف التي أدّت إلى استمرار هذا الوضع في بلدان المغرب العربي، وهنا يجب العودة إلى جوهر الموضوع، وهو تأثير الاستعمار، والاختلاف بين الاستعمار الفرنسي والإنجليزي في الحكم، فالإنجليز يميلون بطبعهم إلى المساومة والمهادنة، واهتمامهم بالربح المادي وعدم استخدام القّوة، وهذا يتضح حتى في لغتهم التي تميل إلى الشكّ والحذر والتحفظ، فهذا الطبع والاتزان انعكس على حكمهم وفي سلوكهم الاستعماري، فهم يهتمون بالتجارة والربح ثم الثقافة واللغة والفكر، فهم لا يفرضون لغتهم بالقوة، فهم ينشرونها بأساليب الإغراء والمراوغة، فلا يغضبون من الذين لا يعرفون لغتهم على الرغم من أن لغتهم هي الأولى عالميا، فالفرنسي يهاجم العربية ويحاول قلعها من جذورها، والإنجليزي يناور ويحاور ويستعمل وسائل الجذب والتشويق، أما المستعمر الفرنسي فيتميز بمزاج عنيف كما شهد على ذلك الشعب الجزائري في أعنف صوره وأشرس مظاهره، فهو يستغل الشعوب ماديا بسلب الثروات، ومعنويا حيث يعمل على ابتلاع شخصية الشعوب وثقافتها وتاريخها ولغتها، فهو احتلال مادي وفكري ثقافي، وهذا نابع عن إحساسهم بالتفوق والتضخم والتميز، وهذا تؤكده حتى لغتهم التي تتميز بالقطع والجزم والتوكيد، فثقافتهم تطغى على من يندمج فيها، فهم يتميزون بحب الهيمنة والتسلط، وهذا نتج عن استعمار عشرات من البلدان المختلفة، فالشعب الفرنسي أكبر شعب يتعصب للغته وثقافته لدرجة المبالغة، فيجعلونها فوق اللغات جميعها ويجب تعلمها، « لقد تعرض جزائريون كثيرون للسخرية والإهانة لأنهم أجابوا على السؤال بالنفي، بل إن بعضهم تعرض للضرب والحجز بعد الاستقلال مباشرة، لأنه لم يكن يعرف الفرنسية ولم يتعلمها في الجزائر »[1].

[1] عبد الله الركيبي، الفرنكوفونية مشرقا ومغربا، دار الكتاب العربي للطباعة النشر والتوزيع، القبة، الجزائر، ط1، 2009، ص19.

فالفرنسيون ظلوا حاقدين على العرب عامة بسبب الحروب الصليبية، وعلى أبناء المغرب العربي خاصة بسبب مقاومة السكان لاستعمارهم، وتأثرهم بالكنيسة وتعاليمها، فالروح العنصرية تنشأ منذ الصغر في الأطفال الفرنسيين، ويحقدون على شعب شمال إفريقيا وخاصة الجزائريين.

فهناك مظهرين للفرنكوفونية: الفرنكوفونية التي جاءت بواسطة الاحتلال والتي تحققت بواسطة التعليم والبعثات، ففي المظهر الأول نجد سوريا ولبنان اللتان تعرضتا إلى الاحتلال الفرنسي، إلا أن سوريا قامت بتعريب مختلف مراحل التعليم وذلك نتيجة جهود عدة مفكرين عرب، فجميعهم ساهموا في توحيد المسار الثقافي العربي في الشام.

أمّا الدراسات والبعثات إلى جامعات فرنسا فإن تأثيرها كان محدودا نتيجة تكوينهم العربي في الشام، فتكون لديهم اللغة العربية لغة أساسية: «فالباحث يستوعب أولا ثقافة العربية، ثم تأتي دراسته بالفرنسية بغرض الفائدة والاطلاع على المناهج الجديدة والأساليب المختلفة والمدارس المتعددة»[1].

لكن في لبنان يختلف الوضع، لكن لا تصل إلى المستوى الذي وصلته إليه في المغرب العربي، وذلك رغم كثرة الأديان والطوائف المختلفة، وارتباطها بفرنسا وكثرة المفكرين الذين يدعون إلى الفرنكوفونية، فرغم هذه الظروف لم تسيطر الفرنكوفونية على المناخ الأدبي والثقافي هناك كما حدث في المغرب العربي، فهم دافعوا عن لغتهم العربية وتراثها لأنها تراثهم، أمّا اللبنانيون الذي ذهبوا إلى الجامعات الفرنسية فإنهم نظروا إلى الفرنسية كونها لغة أدب وعلم وفن فقط، وظلوا أوفياء إلى العربية، وموقف المثقفين في الشام لا يختلف عن موقف المثقفين بالإنجليزية في العراق والأردن ومصر واليمن...، أو الذين درسوا في بريطانيا وأمريكا...، فهم أيضا لم ينكروا العربية « أمثال "العقاد" و"طه حسين" و"نعيمة" وأمثالهم، بحثوا عن الطرق التي يمكن أن تساعد على تطوير اللغة والثقافة العربية»[2]، فالفرنكوفونية رغم وجودها في المشرق

[1] المدونة، ص23.

[2] المدونة، ص29.

العربي إلا أن المثقفين هناك نظروا إلى الفرنسية نظرة مناقضة لنظرة أمثالهم في المغرب، فهم اعتبروها لغة أجنبية تحمل ثقافة يمكن الاستفادة منها وفي المغرب العربي اندمجوا فيها، وأصبحوا يدافعون عنها وتركوا لغتهم وذلك سببه التكوين منذ البداية، فالفرنكوفونيون في المغرب لم يتعلموا اللغة العربية أبدا، فالفرنسية هي لغتهم الأولى على خلافهم في المشرق، فهم يتحكمون في الفرنسية ولا تتحكم فيهم، ولا يوظفون اللغة الفرنسية ولا الإنجليزية في حياتهم وتعاملاتهم، ويلتقي الفرنكوفونيون في المشرق والمغرب في مجال واحد وهو الدعوة إلى العامية، وكان منطلقهم أن كتابة الأدب بلغة لا يفهمها الشعب أمرا لا قيمة له، فحاولوا أن يجدوا طريقا ثالثا بين الفصحى والعامية لكنهم لم ينجحوا في ذلك، وانشرت هذه الدعوة في المغرب العربي خاصة في تونس، فطالبوا بأدب تونسي محلي إقليمي، أي الدعوة إلى الكتابة بالعامية، أمّا عن دور السياسيين، فالسياسيون في المشرق درسوا العربية وأتقنوها وكانت كتابتهم السياسية بالعربية، أما في المغرب العربي « فالساسة في مجملهم تأثروا بنفس الأفكار التي تدعو إلى الحرية والفكر الليبرالي الغربي، ولكن تعبيرهم عن ذلك كان بلغة المستعمر»[1]، وبعضهم كان يخاطب الجماهير بالعربية وأحيانا باللغة الدارجة.

فالفرد العربي سريع التأثر بالثقافة الفرنسية ويتحدث بها رغم عدم التعلم الجيد لها، فإن تأثير المستعمر ظهر على فئة محدودة في المشرق العربي وبالمقابل فئة كبيرة من المغرب العربي، وتواصل هذا التأثير إلى جيل الحرية والاستقلال، وهذا الأمر لا بد من البحث عن أسباب هذه الظاهرة، وهل التقليد أصبح عادة عندنا رغم أن منطقتنا عرفت بالتمرد والرفض حيث وقفت ضد الاستعمار، لكن هذه الظاهرة لم تحظ بدراسات علمية أو نفسية أو اجتماعية... دقيقة للوصول إلى إجابات مقنعة وشافية عن هذه التساؤلات.

[1] المدونة، ص30.

المبحث الثاني: الفرنكوفونية: نشأتها وتطورها

لا بد من تحديد معنى الفرنكوفونية وما تحمله هذه الكلمة من دلالات، فالهدف الأساسي للفرنكوفونية هو الإسهام في الثقافة العالمية بوجهها الإيجابي أو السلبي، وهنا نذكر كتاب بعنوان الفرنكوفونية لكاتبه "قزافيي دينو"، وهو رئيس اللجنة الخاصة الفرنكوفونية، فهو طليع بمفهومها، وهناك عدة مراجع أخرى يمكن اعتمادها لاستخراج المعنى المراد، فالمؤلف "قزافيي دينو" ينفي كل الصفات أو الأغراض السلبية التي تجسدها هذه الكلمة، بل يركز أكثر على الجانب الثقافي، «ويحاول دينو أن يؤكد لنا أن الفرنكوفونية هدفها إنساني بحت، وأنها تسعى إلى خدمة من ينحنون تحت لوائها ويعملون على نشرها»[1]، فأول من أطلق كلمة فرنكوفوني الجغرافي الفرنسي "ريكلوس"، حيث أعطاها صيغة جغرافية، أي المناطق التي تنتشر فيها اللغة الفرنسية وعرفها على أنها « مجموعة السكان الذين يتكلمون الفرنسية»[2]، فاللغة هنا تربط بين المناطق رغم تباعدها الجغرافي، كتباعد فرنسا وشمال إفريقيا التي اعتبرت منطقة فرنكوفونية، ومن أبرز من ساعد على انتشار مفهوم الفرنكوفونية الشاعر الإفريقي "سنغفور"، ورغم هذا فإنها لم تدخل إلى القواميس إلا مؤخرا، بحيث لم تصبح فكرة ثابتة إلا في الستينيات وما بعدها، وسبب ذلك أن هذه الفترة التي اختف فيها مفهوم الفرنكوفونية هي فترة الاستعمار الفرنسي، كما يذكر كاتب آخر هو "لويس جان كالفي" في كتابه اللسانيات والاستعمار «أن ظهور الفرنكوفونية وانتشارها كمصطلح بدأ يترسخ ابتداء من 1994»[3]، أي بعد الاستعمار الفرنسي، ثم ظهر هذا المصطلح في قاموس "لوكيد" الذي حدد معناها أكثر وأخذ هذا المصطلح بالتطور مع تطور الزمن وتعدد الظروف، ثم يناقش صاحب الكتاب مفهوم الفرنكوفونية من حيث الجغرافيا حيث تشهد انتشارا واسعا، لكن لا يذكر السبب لأنّ الاستعمار هو السبب الأول لانتشار اللّغة الفرنسية، وفي هذا الكتاب يركّز الكاتب على شاهدين مهمين هما "سنغفور"

[1] المدونة، ص37.

[2] المدونة، ص37.

[3] المدونة، ص39.

والرئيس "بورقيبة"، اللذان تغنيا باللغة الفرنسية ودافعا عنها، ثم يواصل المؤلف حديثه عن الفرنكوفونية ويجعل من الفرنسية أي اللغة أداة لتواصل وتفاهم الشعوب، ثم يصل المؤلف إلى الحديث عن المغرب العربي وبالأخص الجزائر بوصفها كانت تعتبر جزءا من فرنسا، أما تونس والمغرب محميتين، فهو يشيد بدور الاستعمار في انتشار هذه اللغة في هذه المنطقة.

كما أشار الكاتب إلى وجود اللّغة العربية ودفاع الشعب البسيط عنها، عكس المثقفين الذين كانوا أغلبهم فرنكوفونيين، وكاتب هذا الكتاب لم يتحدث عن الفرنكوفونية في هذه المنطقة بإسهاب كبير، وهذا يدل على التحفظ الشديد خوفا من إثارة النفوس، لكن الكاتب لم يتحدث عن البلدان التي هي ضد الفرنكوفونية، ويعتبر موقفها موقفا سلبيا اتجاه فرنسا، كما يبدي بعض التخوف من الفرنكوفونية «لأنها قد تصبح فكرة استعمارية جديدة»[1]، أما الخطر الحقيقي الذي يهدد الفرنكوفونية هو انتشار الإنجليزية التي أصبحت اللغة العالمية الأولى، فهي وحدة الخطاب العالمي، ففي كثير من الأحيان يحتدم الصراع بين الفرنسية والإنجليزية.

وكذلك من أسباب تراجع اللغة الفرنسية « أن شخصيات فرنسية من مستوى رفيع تستخدم في علاقتها الخارجية اللغة الإنجليزية»[2] وهذا سبب هام، لكن رغم كلّ هذه الصعوبات والمشاكل إلا أن الفرنسيين يهتمون بلغتهم ويعملون على نشرها عكس ما هو عندنا، ففي فرنسا «أصدر البرلمان لائحة تدعو إلى تكوين لجنة تنظر في السياسة الفرنسية تجاه نشر اللغة ودراسة وضعها داخليا وخارجيا»[3]، فجميع طبقات المجتمع وخاصة الطبقة السياسية والحاكمة التي تهتم لأمر اللغة الفرنسية، فمهما حاول الفرنسيون إبعاد الصيغة السياسية عن الفرنكوفونية إلى أنها ذات صيغة سياسية واضحة، وبالعودة إلى بلدنا الجزائر، فالجزائريون لم يكونوا في غفلة عن هذا الهدف السياسي للفرنكوفونية، فهم يعلمون أن أهدافها استعمارية وتصبو إلى السيطرة الفكرية والثقافية.

---

[1] المدونة، ص47.

[2] المدونة، ص49.

[3] المدونة، ص50.

فالفرنكوفونيون كانوا ومازالوا يحاولون تغيير هذه الفكرة ويحاولون إظهار محاسن الفرنكوفونية، إلا أنها تظل تمثل الهيمنة والسيطرة في الماضي، أما عن الحاضر فهي تخرب الفكر والمقومات الوطنية لشعوب المغرب العربي، فيجب أن نستفيد من أساليبهم وطرقهم في الحفاظ على لغتهم لنساهم في الحفاظ على مقوماتنا العربية، والدفاع عنها دون الانقياد الأعمى.

المبحث الثالث: جذور الفرنكوفونية وارتباطها بالفكر الإقليمي في المغرب العربي

في هذا الجزء نحاول أن نعرف متى ظهرت الفرنكوفونية في المغرب العربي وكيف تغلغلت فيه، فالباحثون لم يحاولوا التأريخ لهذا المصطلح ولهذه الظاهرة واستسلموا لها، ولكن الباحث في تاريخ الجزائر يؤكد أن الفرنسية جاءت مع الاحتلال الفرنسي للمنطقة، وكذلك بالنسبة لأقطار المغرب العربي الأخرى، ولا ننكر وجود مثقفين يتقنون اللغة الفرنسية قبل ذلك، لكنهم لم يؤثروا في المجتمع العربي، وهنا يستحضر الكاتب شواهد مثل « "حمدان خوجة" فهو مثقف جزائري للفرنسية ومثله "بوضربة"»[1]، فهما كانا يجيدان اللغة الفرنسية قبل الاحتلال وهذه النماذج قليلة، أما عن الوجود الفعلي للغة الفرنسية كان بوجود الاحتلال الفرنسي، فاللغة عامل مهم يساعدهم على فرض السيطرة خاصة السيطرة الفكرية، وبالتالي ظهور فئة مثقفة بالفرنسية دافع أصحابها عن اللغة الفرنسية وأنكروا هويتهم العربية وساندوا فرنسا، وبالمقابل توجد فئة قليلة منهم وقفت موقفا مغايرا حيث دافعت وحاربت الاستعمار الفرنسي بكل الطرق والوسائل.

لكن هذا الفكر الفرنكوفوني بقي حاضرا حتى بعد الاستقلال، فما هي الظروف التي ساعدت على بقائه، وهل ساهمت فرنسا فعلا في تطوير الفكر في المنطقة؟

فأهم عامل ساعد على ظهور الفرنكوفونية وتفشيها في الجزائر هو سياسة الإدماج الي تبنتها فرنسا، ومن هنا ظهرت هذه النخبة التي تنادي بالإدماج والمساواة، فهم تأثروا بفرنسا وبثرواتها، ووقفوا مع فرنسا وساندوها، « وطالبوا بالاندماج المطلق في الحركة التي قادها بن جلول ثم فرحات عباس»[2]، وفي المقابل يوجد شخصيات مثقفة تنادي بالحرية والاستقلال لكنها لم تغير شيئا في الوضع، لا سيما الجانب الثقافي، فهي لم تستطع أن تتخلص من سيطرة الثقافة الفرنسية وكان دورها سياسيا بحتا، أي لم تهتم بالجانب الثقافي وتعددت الأحزاب وتعددت توجهاتها واختلفت نظرتها إلى الثقافة، فكانت نظرتهم ضيقة تنحصر في الانتماء العربي أو

[1] المدونة، ص56.

[2] المدونة، ص60.

الإفريقي، وقد كان « لتأثير الدين الإسلامي في حياة المجتمع ودوره في الإبقاء على الشخصية الوطنية في الأقطار المغربية»[1]، فالفرد الجزائري كان ومازال متمسكا بدينه الإسلامي، فهذه الأحزاب كلها كانت تسعى إلى وحدة المغرب العربي واهتموا بـ توثيق الروابط مع دول العالم عامة وع الدول العربية والإسلامية خاصة»[2]، أي خلق نوع من التضامن بين هذه الدول، ولكن هذه العناصر، أي عناصر العروبة كانت لا تؤثر كثيرا في الآراء الحزبية، خاصة من حيث التأثير الثقافي، لأن «العناصر القيادية غالبا من الفرنكوفونيين باستثناء قلة من المثقفين»[3]، فقبل الستينات لم تتجسد أو لم تتحقق الوحدة المغربية أو الوحدة العربية مشرقا ومغربا، بل كانت عبارة عن إحساس عاطفي أكثر منه موقفا، وذلك نتيجة التكوين الثقافي الفرنكوفوني الذي يؤمن بالإقليمية، وكذلك الانتماء الحزبي، فقد أثرت الفرنكوفونية في ضعف الإحساس بالعروبة والوحدة، فمعظم الحكام في المغرب العربي فرنكوفونيون، فبالرغم من امتلاكهم لغتين العربية والفرنسية إلا أنه دائما لغة تطغى على لغة، حيث برر هذا "طه حسين" «بأن الإنسان لا يستخدم لغتين في الوقت نفسه وفي اللحظة نفسها وبالمستوى نفسه»[4]، فـ"طه حسين" على الرغم من ثقافته المزدوجة إلا أنه يقر دائما أن ثقافة تغلب على ثقافة، والدليل على ذلك هو تعثر التعريب وتأخر عملية استكماله، وذلك راجع إلى أن الثقافة الفرنكوفونية هي الطاغية في المغرب العربي، ففي الجزائر تحقق التعريب بشكل كبير في عهد الرئيس الراحل "هواري بومدين"، «لكنه لم يتجاوز نطاق التعليم في الغالب»[5]، فهو عمل على إنجاح عملية التعريب وحث عليه في خطبه ولقاءاته، لكن هذه العملية لم تنجح لأن الذي ينفذها فكره فرنكوفوني ولا يؤمن بالتعريب ولا بالعروبة ولا بالوحدة، فثقافتهم فرنكوفونية «فالسياسيين والمثقفين في المغرب

[2]المدونة، ص65.

[2]المدونة، ص69.

[3]المدونة، ص66.

[4]المدونة، ص69.

[5]المدونة، ص71.

العربي ممن ثقفوا ثقافة فرنسية –باستثناء ليبيا–»[1]، ففي ليبيا لم يكن للثقافة الفرنسية أثر في آراء ساستها ومثقفيها، فقد تعددت الأسباب التي جعلت من الساسة والمثقفين في المغرب العربي خاصة تونس والجزائر والمغرب جعلتهم ذوي ثقافة فرنسية، خاصة أن أغلبهم تزوج بفرنسيات، والأسرة تعتبر نواة المجتمع، فالفئة الفرنكوفونية «لا تؤمن بالوحدة في المغرب العربي فقد باءت بالفشل حتى وقتنا الحالي، لأنه من التناقض أن يعمل للوحدة من لا يؤمن بها، وأن يحققها من لم ينشأ على حبها ولم يتشرب مبادئها في صغره»[2]، وهذا يدل أو يعبر عن أزمة في الهوية وهذه الأزمة جراء التكوين، وعلى الرغم من وجود جهود ضئيلة بعد الاستقلال لتحقيق هذه الوحدة، لكنها تظل مرتبطة فقط بفئة معينة من المثقفين كخريجي المدارس وجمعية العلماء والزيتونة وغيرها ممن تلقوا تعليما دينيا، فتميزوا بنظرة دينية وطنية، فالعرب عامة لم يهتموا ولم ينجزوا دراسات عن الوحدة العربية إلا بعض المقالات عن العروبة، أما دراسات دقيقة فهي تكاد تكون منعدمة في المغرب العربي مقارنة بالشرق العربي الذي قطع شوطا كبيرا في هذا المجال، أما فيما يخص الجزائر لا ننسى جهود جمعية العلماء المسلمين التي نلحظ فيها ثلاث تيارات، الأول هو «التيار العروبي الإسلامي الذي يؤمن بالوحدة الإسلامية ولا يعارض الوحدة العربية»[3]، فهذا الاتجاه يضم العديد من العلماء والمثقفين أمثال "ابن باديس" و"محمد العيد آل خليفة" و"توفيق المدني"...، وغيرهم من اهتم بالعروبة والحديث عنها في مقالاتهم وكتاباتهم، لكنها تبقى كتابات فقط لم تطبق على أرض الواقع، أما التيار الثاني «تغلب عليه النظرة الدينية الصرفة وينظر إلى العربية من خلالها ويتحمس للوحدة الإسلامية»[4]، هذا التيار مشبع بالروح الدينية الإسلامية، أما التيار الثالث فهو «إقليمي جهوي محدود»[5]، فهذا التيار بعيد عن العروبة

[1] المدونة، ص77.

[2] المدونة، ص79.

[3] المدونة، ص84.

[4] المدونة، ص85.

[5] المدونة، ص85.

كل البعد، وأصحاب هذا التيار يحاربون العروبة ويعتبرون العربية لغة القرآن والدين فقط، أو عن الحديث عن اهتمام المشارقة بالوحدة فهو يبدو واضحا حيث «يقيمون الندوات الفكرية وحتى بعد حرب الخليج، لتحليل الأوضاع العربية من شتى النواحي، وعن السبل الكفيلة بتحقيق فكر وحدوي على الأقل لا الوحدة السياسية»[1]، فهم يهتمون بالفكر وتوحيد الأفكار وتبادلها حتى بعيدا عن الوحدة السياسية، على عكس في المغرب العربي فهم لا يهتمون بهذا الأمر، ولا يمكننا الحديث عن موضوع الوحدة دون الحديث عن موقف حزب جبهة التحرير الوطني، فقد ظهر موقفه واضحا خاصة في نصوصه ومواثيقه بعد الاستقلال، فقد نص فيها بوضوح على أن الوحدة من أهدافه وأن الجزائر جزء من الأمة العربية، وأن وحدة المغرب العربي إنما هي الخطوة على طريق الوحدة الشاملة، ويبرز ذلك واضحا في الميثاق الوطني لجبهة التحرير، وأخيرا نستطيع القول أن الفكر العروبي الوحدوي بالمغرب كان حبرا على ورق لم يطبق على أرض الواقع، وذلك راجع إلى عدم توحد الآراء، فهناك جزء مع الوحدة وجزء بعيد عنها ذو نظرة فرنكوفونية، ولتحقيق هذه الوحدة لا بد من خطط علمية وأفكار جديدة وموحدة في مختلف مجالات الحياة، وتجاوز العوائق المختلفة.

المبحث الرابع: الفرنكوفونية بين الأدب والثقافة في المغرب العربي

ظهر الأدب المكتوب بالفرنسية في المغرب العربي أثناء الثورة، لكن لم يهتم به كمفهوم إلا بعد الاستقلال، فاعتبره النقاد أدبا فرنسيا كون الجزائر في ذلك الوقت تعتبر مقاطعة فرنسية، أما عن النقاد الفرنسيين فصنفوه ضمن الأدب المغاربي، وهذا المصطلح يوحي بالإقليمية والجهوية التي أراد الاستعمار الفرنسي أن يكرسها في المغرب العربي، أما عن السبب الذي جعل هؤلاء الكتاب يكتبون بالفرنسية هو أن فرنسا طوقت اللغة العربية وحاولت القضاء عليها، فاعتبر هذا الأدب أدبا فرنكوفوني بعيدا عن البيئة الجغرافية التي كتب فيها، وقد استمر هذا الأدب في المغرب العربي حتى بعد الإستقلال، فقبل الإستقلال توجد عدة دوافع ومبررات تجعلنا نعتبره

[1] المدونة، ص86.

جزائريا، لكن بعد الإستقلال لا يوجد أي مبرر للكتابة بالفرنسية، وهنا يعتبر أدبا فرنكوفونيا، وهؤلاء الكتاب يتغنون باللغة الفرنسية ويريدون الإبقاء عليها، لكن عن موقف الأدباء عامة فقد كان مختلفا، فمنهم من دافع عن العربية ورفض الكتابة بغيرها مثل "مالك حداد"، ومنهم من دافع عن الفرنسية وتغنى بها مثل "كاتب ياسين"، وكذلك بالنسبة لبقية بلدان المغرب العربي، فمنهم من يدافع عن العربية ومنهم من يتغنى بالفرنسية، والذين دعوا إلى الكتابة بالفرنسية حاولوا أن يجدوا لهم عدة مبررات تجعلهم يستمرون بالكتابة بها حتى بعد الاستقلال، مما أثار حول هذا الأدب مجموعة من القضايا « منها مثلا الحكم عليه بأنه لم يبلغ الذروة في الدفاع عن طموح الشعب لأنه لم يقرأه»[1]، فمعظم الشعب الجزائري في ذلك الوقت أمي لا يجيد القراءة، ففي ذلك الوقت اهتم الكتاب والنقاد كثيرا بهذا الأدب فعدوه رصيد الجزائر من الأدب المعاصر ولم يهتموا بالأدب العربي، ثم نتطرق إلى قضية هامة بالنسبة لهذا الأدب ومن يكتبون به وهي قضية اللغة، وكيف يحس الكاتب وهو يكتب بلغة ليست لغته، فهل يشعر بالتمزق أو بالغربة، فالذين يدافعون عن اللغة الفرنسية يشعرون بالحرية حين يكتبون بالفرنسية، أما الذين لديهم إحساس عالي بأصلهم العربي فهم يشعرون بالغربة « الغربة التي تنتج عن التناقض بين الواقع الذي يتطلب التعبير عنه باللغة الأم وبين اللسان الفرنسي الذي يخاطب به الجمهور»[2]، فالكتاب في المغرب العربي يعانون من أزمة وهي أزمة الكتابة، وهذه الأزمة نابعة عن اللغة، فهي تجعلهم في حيرة دائمة سوى الذين يعيشون في فرنسا أو الذين يعيشون في أرض الوطن فهم في صراع دائم، « والهوية هي مدار هذا الصراع والعروبة لن تتحقق بغير العربية»[3].

[1] المدونة، ص101.

[2] المدونة، ص109.

[3] المدونة، ص113.

اختلفت الصراعات الثقافية في الوطن العربي بين المشرق والمغرب، وما يهمنا هنا هو المغرب العربي، فقد دارت الصراعات « حول اللغة والهوية وعن الأدب المكتوب بالفرنسية»[1]، ففي الجزائر الأدباء والمثقفون في بحث دائم عن هويتهم، فبعد أن اشتغلوا بتحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي وحققوا الاستقلال، انصب كل اهتمامهم في البحث عن هويتهم العربية الإسلامية، فنشأ الصراع بين العروبيين الذين يدافعون عن العربية، وبين الفرنكوفونيين الذين يستميتون من أجل الفرنسية، نذكر منهم "مصطفى الأشرف" الذي يدافع عن الفرنسية و« عن الأدب الشعبي فهو –في رأيه– الوحيد في الجزائر الذي يعد أدبا يستجيب لضرورة التعبير في اتجاه التحرير الوطني والمصدر السياسي، حيث أنه يلوم السياسيين الذين يستخدمون الفصحى في خطابهم»[2]، كذلك نذكر "مالك حداد" الذي « اعتبر أن التعبير بالفرنسية مأساة الكتاب الذين يكتبون بها»[3]، فهو ذو فكر قومي عروبي رغم أنه كتب بالفرنسية، ويرجع ذلك إلى الظروف فقط، فهو يعتبر الفرنسية منفاه فهي تجعله بعيدا عن شعبه ووطنه وعن هويته العربية، وهو يرجع التمزق الذي عرفته شعوب المغرب العربي إلى الفرنكوفونية فهو أثر من آثارها « فالتمزق يبدأ من اللغة وينتهي إلى الهوية فالوحدة»[4]، أما في تونس فالوضع مختلف نوعا ما، فالعربية بقيت موجودة والكتاب تعلموا اللغتين العربية والفرنسية، فأصبح لديهم ازدواجية في اللغة وفي الثقافة، وهذا يتفق مع رأي الباحث التونسي "عزيزه" الذي يرى أيضا أن الأديب بعد الاستقلال يكتب أيضا باللغة الفرنسية عكس رأي "مالك حداد"، أما في موريتانيا فالفرنسية غير راسخة بشكل كبير كما في باقي بلدان المغرب العربي، لأن فرنسا احتلتها لفترة قصيرة والعربية هناك لها تاريخ عريق « فإن الانتماء إلى الحضارة العربية والثقافة العربية والتراث العربي هو الذي

[1] المدونة، ص115.

[2] المدونة، ص116.

[3] المدونة، ص118.

[4] المدونة، ص119.

ساد المناخ الثقافي هناك»[1]، ويوجد فئات من أصول زنجية تدافع عن اللغة الفرنسية لكن لا توجد دراسات كافية في هذا المجال، أما فيما يخص الصحراء الغربية أو الجمهورية العربية الصحراوية «فإن اعتزاز المثقفين فيها إنما هو بالعربية، وإن الثقافة العربية الإسلامية هي التراث الأصيل في الصحراء الغربية»[2] وذلك رغم استعمارها من طرف إسبانيا.

ومن أهم الكتاب الذين أثروا في اللغة والثقافة في الجزائر خاصة وفي المغرب العربي عامة نجد "كاتب ياسين"، فهو فرنكوفوني يدافع عن الفرنسية ويعارض فكرة التعريب، ويقف ضد العربية، وذلك نتيجة تكوينه الفكري والإيديولوجي « فعداوته للعربية ليست لأنها صعبة أو كلاسيكية كما يزعم، ولكن لأن رأيه يستند إلى أنه لا يؤمن بالعروبة وبالهوية الثقافية للشعب الجزائري»[3]، ويؤمن "كاتب ياسين" بفكرة التأليف باللهجة الدارجة، وهذا الكلام اعتباطي لا يستند إلى دراسة أو لأسباب معلومة، فهو ذو موقف إقليمي صرف، ويمكن تقسيم الكتاب الفرنكوفونيون في المغرب العربي إلى 3 فئات:

الأولى: الكتاب الذين يريدون الحفاظ على هويتهم العربية الإسلامية ويؤمنون بالوحدة العربية و المغاربية.

الثانية: الكتاب والأدباء الذين يرفضون العربية رفضا قاطعا ويساندون اللهجات المختلفة «ويدافعون عن الفرنسية ويتعاطفون مع فكرها وثقافتها وحضارتها»[4].

الثالثة: الكتاب الذين يمتلكون ثقافة مزدوجة عربية وفرنسية، «فهم يتعاطون مع العربية أو يعطفون عليها»[5]، لكنهم لا يفتخرون بها ولا ينظرون إليها بإيجابية.

---

[1] المدونة، ص125.

[2] المدونة، ص125.

[3] المدونة، ص127.

[4] المدونة، ص132.

[5] المدونة، ص132.

أما عن الحديث عن الثقافة الفرنكوفونية في المغرب العربي وهي كذلك متعلقة بنفس الأزمة، وهي أزمة اللغة التي تعبر عن هذه الثقافة، فهناك من المثقفين من «ينظر إليها من موقف قومي يقف إلى جانب العربية باعتبارها تمثل الهوية اللسانية»[1]، وهناك من يساوي بين الفرنسية والعربية مع وجود فئة قليلة معادية للغة العربية، وذلك وفق أحكام ذاتية، فالفرنكوفونيون يتحاملون دائما على العربية ولا يساعدون على رفع مستواها، بل عملوا على محاربتها بكل السبل، ويقفون ضد الوحدة، « فأحيانا يهرب المثقفون الفرنكوفونيون إلى الجانب الجغرافي والعاطفي حين يناقشون الوضع الثقافي في المنطقة»[2]، أي يرجعون فشل الوحدة العربية إلى الجغرافيا المختلفة، وكذلك تعدد اللهجات جعل من الثقافة تختلف، ولكن هذا ليس سببا مقنعا، فتوجد في العالم بلدان أو قارة كاملة اتحدت رغم اختلاف الجغرافيا وتعدد اللهجات، الفرنكوفونيون لا ينتقدون التذبذب الذي يعيشون فيه تجاه العروبة ولا يحللون أسباب ذلك، بل يحاولون الابتعاد كل البعد عن هذا الموضوع.

وإن أهم موضوع يجب الاهتمام به في المغرب العربي هو موضوع الهوية، وأن لا نخضع إلى مجموعة القيود التي تركتها لنا فرنسا المتمثلة في الفرنكوفونية، حتى نكون مجتمعا متماسكا ونوحد كل الأقطار العربية مشرقا ومغربا.

أما عن أهم النتائج التي نخلص إليها في نهاية هذا الفصل هي:

- ظهرت الفرنكوفونية أثناء الاحتلال الفرنسي لبلدان المغرب العربي لكنها استمرت حتى بعد الاستقلال.
- الفرنكوفونية تمثل نوعا من السيطرة الفكرية والثقافية.

[1] المدونة، ص134.

[2] المدونة، ص135.

– بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر ظهرت فئة مثقفة بالفرنسية تدافع عن اللغة الفرنسية وأنكرت اللغة العربية، وبالمقابل توجد فئة مثقفة تدافع عن اللغة العربية وتدعو إلى الوحدة العربية، لكن هذه الوحدة ظلت حبرا على ورق.

– الأدباء الذين يدافعون عن الفرنسية يشعرون بالحرية حين يكتبون بها، أما الذين لديهم إحساس عالي بأصلهم وانتمائهم العربي فهم يشعرون بالغربة.

– الأدباء في بحث دائم ومستمر عن هويتهم العربية الإسلامية، فالكتاب والأدباء في المغرب العربي يعانون من أزمة اللغة، هذه اللغة التي يعبر بها الكاتب عن ثقافته وفكره العربي الإسلامي.

الفصل الثاني

قراءة في الباب الثاني والثالث من الكتاب

(الفرنكوفونية في الجزائر ونماذج تطبيقية من المشرق والمغرب)

المبحث الأول: الفرنكوفونية في الجزائر وموقفها من الاتجاه القومي:

1- الوجه القديم للفرنكوفونية قبل 1988م

2- الوجه الجديد الفرنكوفونية بعد 1988م

المبحث الثاني: نموذجان للتطبيق من المشرق والمغرب

1- طه حسين والثقافة

2- طه حسين واللغة

3- مصطفى الأشرف والثقافة

4- مصطفى الأشرف واللغة

تمهيد:

لقد عملنا على تقسيم الفصل الثاني المعنون بـ: قراءة في الباب الثاني والثالث من الكتاب (الفرنكوفونية في الجزائر ونماذج تطبيقية من المشرق والمغرب) إلى مبحثين، ففي المبحث الأول نتناول ظاهرة الفرنكوفونية في الجزائر وعنوناه بالفرنكوفونية في الجزائر وموقفها من الاتجاه القومي ونتناول في عنصرين، الأول: الوجه القديم للفرنكوفونية قبل 1988، والثاني: الوجه الجديد للفرنكوفونية بعد 1988، أما المبحث الثاني فهو عبارة عن نموذجين تطبيقيين من المشرق والمغرب، وعنوناه بـ: نموذجان للتطبيق من المشرق والمغرب، وأخذنا في هذا المبحث نموذجين: "طه حسين" من المشرق تحدثنا عن ثقافته ولغته، أما من المغرب تناولنا "مصطفى الأشرف" فتحدثنا عن ثقافته ولغته، وهما نموذجان للمقارنة بين الثقافة واللغة في المشرق العربي والمغرب العربي، ومدى تأثير الاستعمار في كل منهما.

المبحث الأول: الفرنكوفونية في الجزائر وموقفها من الاتجاه القومي:

1- الوجه القديم للفرنكوفونية قبل 1988م:

في هذا الجزء يختص في الحديث عن الجزائر، كون الجزائر تحمل ميزات هي:

- من البلدان التي حملت على عاتقها لواء التعريب منذ الاستقلال حتى اليوم.

- كون الجزائر مرّت بفترة استعمار طويلة وقامت بثورة تحريرية كبرى كسّرت بها قيود الاستعمار، ممّا جعل من هذه الثورة عالمية.

- الموقع الاستراتيجي الهام الذي تتمتع به الجزائر ومكانتها المرموقة بين الدّول جعلها محل أطماع العديد من الدول الأخرى.

- لم تنظم الجزائر إلى التكتل الفرنكوفوني رغم احتلالها من طرف فرنسا.

- « ظهور ما يسمى بحزب فرنسا قديما وحديثا»[1]، ويقصد به انتشار العمالة، حيث وصل العملاء إلى درجة الموت من أجل فرنسا.

وهذه النقاط تجعلنا نهتم بالجزائر بشكل خاص، ولا ننسى عاملا مهما أيضا وهو التعريب، حيث لم يتحقق التعريب بصفة كبيرة في الجزائر وذلك راجع إلى أن «الفرنكوفونيين هم الذين حكموا الجزائر من الاستقلال حتى اليوم»[2]، أي لا يستطيع صاحب فكر فرنكوفوني تعريب البلاد وكذلك عامل المصلحة، فهم يمدحون فرنسا في مختلف المجالات حفاظا على مصالحهم الخاصة، وفي هذا الصدد نذكر الباحث الجامعي "جمال العبيدي"، «الذي يذكر أن الأحكام الاعتباطية التي يطلقها الفرنكوفونيون عن العربية وعن المثقفين، إنما تنبئ عن موقف طبقي اجتماعي لا عن حقيقة علمية خضعت للتجربة والتحليل»[3]، أما عن الحديث عن الكاتب الفرنكوفوني فهو يتميز بنظرة استعلائية تجعله ينظر إلى من يكتب بالعربية بنظرة دونية، فمن يكتب بالفرنسية يلقى رواجا ويصبح مفكرا وأديبا، على خلاف من يكتب بالعربية الي يبقى

---

[1] المدونة، ص150

[2] المدونة، نفس الصفحة.

[3] المدونة، ص152.

مغمورا مهما كانت كتابته جيدة، ويمكن أن نلخص التيارات الفكرية والأيديولوجية لشريحة الطلبة الفرنكوفونيين في الجزائر إلى ثلاثة تيارات: «دعاة لإدماج، قبل 1914م، ودعاة الفرنكوموسيلمان أو الاتجاه الفرنسي الإسلامي وهذا بعد سنة 1919م، أما بعد 1936م و1943م، فإنّ الحركة الوطنية اعتنقت الفكر العربي الإسلامي، وهؤلاء جميعا يمثلون الإنتلجنسيا الفرنكوفونية»[1]، وهذا عن دور المثقفين العروبيين فقد ناضلوا من أجل الثقافة الوطنية قبل الثورة وأثناءها وبعدها، فيجب أن لا ننكر دورهم في تحقيق الحرية.

يوجد صراع منذ القديم بين الفرنكوفونيين والعروبيين، وهذا الصراع أساسه مفهوم الهوية، والانتماء، واللغة تمثل عاملا من عوامل هذا الصراع، لكن تصنيف المثقفين الفرنكوفونيين هو نفسه ينطبق على ذوي الثقافة العربية من حيث النظرة إلى الهوية والعروبة، وهذا راجع إلى التكوين والوعي، فالفرنكوفونيون ينقسمون إلى أربعة فئات مختلفة:

« العروبيين، أولئك الذين يدافعون عن العربية وعن التعريب، الموالون للفرنسية لغة وثقافة، وهي الفئة التي تحارب العربية، هناك فئة ثالثة لا تعادي العربية ولا العروبة ولكنها تدافع عن مصالحها ونظرتها عاطفية خالصة للموضوع، كما هنالك فئة رابعة سلبية لا تعادي ولا تؤيد ولا يهمها نجاح التعريب أو فشله، ولا تشارك في الحياة الثقافية ولا في غيرها»[2].

وتوجد فئة أخرى مغايرة هي فئة: المعربون ذوو الثقافة العربية لسانا لا فكرا، فهم يعترفون باللغة العربية على أنها لغة وطنية لكن لا ينظرون إليها كونها لغة تربط بين الأمم العربية، وهم يعملون على تعليم أولادهم اللغة الفرنسية، أي « يبعثون أولادهم إلى المعاهد الفرنسية في الجزائر وإلى الجامعات الفرنسية في فرنسا»[3].

---

[1] المدونة، ص158.

[2] ينظر إلى المدونة، ص166.

[3] المدونة، ص168.

وتوجد فئة أخرى تنظر إلى اللغة العربية نظرة دينية، فهي لغة القرآن الكريم، وهم لا يمانعون «إذ وجد من يطور العربية ويجعلها لغة العلم فإنهم لا يرفضون ذلك»[1]، فهم لا يعارضون العربية بل يتعلمونها من أجل عقيدتهم فقط، وليس كونها لغة يجب تعلمها، وهناك فئة أخرى تعتقد أن اللغة العربية عبارة عن رابطة لغوية ودينية معا، والفئة الأخيرة هي سلبية تقف موقفا محايدا لا تفعل شيئا للعربية.

وتوجد فئة مغايرة ليست فرنكوفونية وليست من العروبيين، وهم ذوي الثقافة المزدوجة تمزج بين الفرنسية والعربية، وكل هذا قبل 1988، أما بعد 1988 فقد انطلقت هستيريا الفرنكوفونية الإقليمية، وكانت حملة رهيبة ضد الشرق والمشارقة «قدحوا في كفاءتهم وفي لباسهم وفي لهجاتهم وفي شهادتهم»[2]، فقد سخروا من خريجي الجامعات العربية ككل، وهذا يهدف إلى ضرب الفكر الناصري في الجزائر، وهذا الفكر كان يدعو إلى العروبة وإلى الوحدة، وهو نسبة إلى "جمال عبد الناصر"، وكذلك يهدف إلى ضرب التيار العروبي الوطني، ثم أسس "نادي الفكر العربي" و"اتحاد الكتاب" أو "لجنة الفكر والثقافة"، فشنت عليهم حربا لأنهم يحملون شعار العروبة.

وكان المشرفون على هذه الأنشطة الثقافية متطوعين «وكانوا فقط يؤمنون بالثقافة الوطنية، ويدافعون عن العربية وعن هوية شعبهم وتاريخه»[3]، ولكن رغم كل المحاولات التي قام بها الحكام لإنجاز عملية التعريب إلا أنهم فشلوا في ذلك، «ودائما التهمة موجهة إلى الفرنكوفونية والجهوية والإقليمية»[4]، فهذه العوامل تعتبر سبب فشل عملية التعريب، فالفرنكوفونية كانت طاغية على جميع المجالات، وكانت دائما تسعى إلى تدمير الثقافة والفن، وقد عمل دائما العروبيون والمعربون على مواجهة الفرنكوفونية، «فكان لهم الفضل في أن تعود الجامعة

---

[1] المدونة، ص168.

[2] المدونة، ص174.

[3] المدونة، ص177.

[4] المدونة، ص179.

الجزائرية –مثلا– إلى شخصيتها العربية الأصلية بعد أن استماتوا في الدفاع عن هذه الشخصية وعن الهوية العربية الإسلامية»[1]، فلولا وجودهم لذابت الشخصية الوطنية العربية الإسلامية الجزائرية وسط هذه التيارات.

2- الوجه الجديد الفرنكوفونية بعد 1988م:

يعتبر تاريخ أكتوبر 1988 فاصلا زمنيا هاما في تاريخ الجزائر، فهو يعتبر منعطفا جديدا ونقلة في المسار السياسي خاصة، فمن الناحية السياسية ظهرت التعددية الحزبية وسادت الحرية والديمقراطية في البلاد، وأصبح الناس يعبرون عن آرائهم المختلفة بلا تردد أو خوف وزالت الأيديولوجية الوحيدة، «وضعف الحديث عن التوجه العربي في كثير من أدبيات هذه الأحزاب، وانتشرت فكرة الدعوة إلى الإقليمية بصورة لا مثيل لها من قبل، كما طغى الفكر الفرنكوفوني الغربي الذي يدعو إلى الغرب وإلى فرنسا بوجه خاص»[2]، وانتشرت الفوضى في البلاد، أما عن الجانب الاقتصادي فقد زالت القوة الاشتراكية وظهر مكانها التوجه الرأسمالي «وطغى على المجتمع بصفة عامة الروح المادية وأخذ الناس يبحثون عن الربح والمنفعة الخاصة»[3]، وساد المجتمع الجزائري مصطلحات جديدة متعلقة بالنظام الجديد، أما عن الجانب الاجتماعي فقد انتشرت الآفات الاجتماعية المختلفة كالبطالة والسرقة، وأصبح «الفرد لا يأمن على نفسه أو بيته أو أمواله»[4]، أما عن الجانب الثقافي والإعلامي فقد برز فيه عدة توجهات مختلفة منهم المدافعون عن العروبة، والمدافعون عن الثقافة البربرية الأمازيغية، وأيضا دعاة الثقافة الغربية ودعاة الثقافة الإسلامية، «فاختفى الإجماع على اللغة العربية باعتبارها لغة رسمية وطنية وجاء من يزاحمها رسميا وواقعيا»[5]، أما عن الإعلام بوجه خاص، فقد انتشرت

---

[1] المدونة، ص187.

[2] المدونة، ص189.

[3] المدونة، ص190.

[4] المدونة، نفس الصفحة.

[5] المدونة، ص191.

الجرائد الحكومية والخاصة، وطغت الصحافة الفرنكوفونية أكثر من قبل، وقد وجد التيار العروبي نفسه وجها لوجه أمام الفرنكوفونية بمختلف شرائحها، والنزعة الإسلامية الخالصة التي لا تؤمن بالعروبة والتيار الأمازيغي، فقد نشأ بين هذه التيارات صراع عنيف دار حول عدة قضايا، فوجدت الفرنكوفونية في هذا التوتر فرصة للانتشار والظهور بشكل واضح وصريح، وبهذا وجدت الفرنكوفونية الفرصة التي كانت تترقبها في وسط هذا الجو المتوتر، «وأعلنت بلسان فصيح عن تشبثها المطلق بالغرب فكرا وحضارة»[1]، وأعلنوا الحرب على العروبة والعروبيين وهم ينكرون هويتهم العربية، فمرجع الهوية العربية هو اللغة، فنحن بدون اللغة العربية لا هوية لنا، وهم لا يحسون بفقدان هذه الهوية عند استخدام غيرها، فالإنسان بطبيعته يحس بالنقص عندما يجهل لغة وطنه حتى لو أتقن جميع اللغات الأخرى، « ولكن الفرنكوفونيين عندما يقلبون الحقائق والنواميس الطبيعية، فيصبح الفرد الذي يجهل لغته القومية عاديا والذي يتقنها معقدا !!»[2]، وهذه الفكرة تحتاج إلى دراسة معمقة، وقد دعا الفرنكوفونيون إلى ضرورة تعدد اللغات وساندوا فكرة أن « كل فرد يستخدم اللغة التي ألفها وتعود عليها بصرف النظر عن الهوية»[3]، وذلك لتشتيت الفكر العروبي، وكذلك لا ننسى موقف السلطة من الطبقة الفرنكوفونية، فهي تساندها للوصول إلى الحكم، ويقول "مرزاق بقطاش" « تحس بأن هناك في السلطة من يفتح الباب أمام الفرنكوفونية، أناس اختاروا السهولة، يقولون أن العربية مهزومة وهم الذين هزموها»[4]، فالسلطة هي أساس المشكل، فهي دافعت وساعدت الفرنكوفونيين في الحصول على مناصب عليا في الحكم، وقد أثر هذا في المسار العروبي الثقافي، فقد واجهت اللغة العربية العديد من الصعوبات منها ظهور الدعوة إلى لغة وطنية ثانية متمثلة في اللغة الأمازيغية، دعوة إلى اعتبارها لغة رسمية توازي اللغة العربية، وهذه الدعوة ظهرت منذ

[1] المدونة، ص194.

[2] المدونة، ص197.

[3] المدونة، ص201.

[4] المدونة، ص205.

القديم في عصر حزب الشعب تبنتها فئة من المثقفين بالعربية والفرنسية، ولكن بعد أحداث أكتوبر تبنت الأحزاب هذه الدعوة وأصبحت من أهم مطالبها.

وتبنى وشجع الاستعمار الفرنسي هذه اللهجة و« أسسوا الأكاديمية البربرية في الستينات بفرنسا، وحاولوا أن يصنعوا قواعد لهذه اللهجة حتى تصبح لغة، وكتبوها بحروف لاتينية»[1]، والحديث عن هذه اللغة ليس حديث العهد، فقد اهتم بها منذ القديم من طرف العرب والأجانب، نذكر منهم الباحث التونسي "محمد مختار العرباوي" في فصل من كتابه، فقد تعرض إلى موضوع البربر بتوسع كبير، كما نذكر المؤرخ الجزائري "الطاهر عدواني" الذي تناول أيضا هذا الموضوع، وكذلك الباحث "أحمد بن نعمان" الذي ألم بالموضوع من شتى جوانبه، واستمر الحديث عن البربرية حتى بعد الاستقلال ولكنه اتخذ صيغة أدبية وثقافية، و« بعد أحداث أكتوبر لم يعد الأمر مجرد تراث، بل أصبح موقفا سياسيا منه ومن هذه اللهجة، وهنا ظهر الصراع العنيف ضد العربية والعروبيين انطلاقا من الفكر الإقليمي والجهوي»[2]، فقد استغل الفرنكوفونيون هذه القضية وحاولوا أن يجعلوها قضية وطنية وليست جهوية، ولكي يصبوا غضبهم على العربية والعروبة، فهذه القضية أساسا ليست بين ثقافة عربية وأخرى بربرية، ولكنها بين العروبة والأصالة والانتماء والوطنية من جهة، وبين ثقافة غربية لا تربطها بها سوى فترة حالكة من تاريخنا عشناها تحت الاحتلال الفرنسي من جهة أخرى، هذه الجهة الأخيرة تمثلت فئة الفرنكوفونية، تشبثت باللغة الفرنسية ونست أصلها ووطنها وتاريخها، وهذا ما أدى بنا إلى هذا التدهور الفكري والثقافي والسياسي... الذي وصلت إليه الجزائر اليوم، أما عن اللغة العربية فنجدها « لم تصبح رسميا إجبارية إلا في عام 1965»[3] وهذا في التعليم فقط، وبعد ذلك قدم مشروع لتعميم استعمال العربية رسميا، لكن هذا الموضوع لم يرق للفرنكوفونيين، وقالوا أن لهم الحق في الاختيار، وثارت ثائرتهم «وكثيرا ما زعموا أن العروبيين يدافعون عن العربية

[1] المدونة، ص208.

[2] المدونة، ص210.

[3] المدونة، ص221.

من أجل المصلحة»[1]، فأصبحوا يتهمون غيرهم كي يغطوا توجههم ومصالحهم التابعة لفرنسا، لكن لم ينجح هذا المشروع ، ذلك لأن بعض المسؤولين في الإدارة الجزائرية رفضوه، إذن « فالفرنكوفونية لم تتنكر للعروبة وحدها بل تنكرت للقيم الوطنية والشهداء ولكل ما يرمز لكرامة الوطن والشعب والتاريخ العظيم لهذا الشعب»[2].

فكل هذه الشواهد والمعطيات تدين الفرنكوفونية وتجعلها السبب الأول في الفترة الحالكة التي مرت بها الجزائر بعد أكتوبر، ذلك لأن العروبيين في تلك الفترة أبعدوا عن الحكم وهمشوا، لكن بعد اعتداء أمريكا والمغرب على العراق واندلاع حرب الخليج تحررنا ولو جزئيا من هذه التبعية، « فأحدثت وعيا جديدا في الفئات الشعبية ولدى كثير من المثقفين حتى من الفرنكوفونيين أنفسهم»[3]، فقد أعادت للشعب وعيه وشعوره بهويته وعروبيته التي ناضل لأجلها مرارا وتكرارا.

[1] المدونة، ص222.

[2] المدونة، ص225.

[3] المدونة، ص233.

المبحث الثاني: نموذجان للتطبيق من المشرق والمغرب:

انتخب الناقد نموذجين لكاتبين عربيين أحدهما من المشرق والثاني من المغرب، وذلك لإبراز الأفكار السابقة فاختار "طه حسين" و"مصطفى الأشرف" كون هذين الكاتبين يلتقيان في أفكار ويختلفان في أخرى، ومن أوجه التشابه بينهما نجد عدة نقاط أهمها:

- أن كلاهما درس في فرنسا ويتقنان اللغتين العربية والفرنسية.
- كلاهما كان ضمن حزب سياسي.
- كلاهما يمجد الثقافة والحضارة الفرنسية والغربية.
- كلاهما ضد الوحدة العربية ولا يؤمن بالعروبة.
- كلاهما تقلد مناصب هامة في الدولة.

أما عن الاختلاف بينهما فيتمحور في عدة قضايا أهمها:

- اهتم "طه حسين" كثيرا بالتأليف والكتابة « فأغنى الثقافة العربية والأدب العربي بما لا يقل عن سبعين كتابا»[1]، بينما "مصطفى الأشرف" فقد جمع مجموعة من مقالاته ونشرها في كتاب.

- "طه حسين" دافع كثيرا عن الأدب العربي وخاض من أجله عدة معارك وصراعات محاولا تغيير مجرى الثقافة، ومدافعا عن فكرة التحديث والتطوير، فهو يؤمن بالحضارة العالمية، أما« "مصطفى الأشرف" فمعركته الوحيدة ضد المعربين، ونقاشه وحواره حول الثقافة»[2]،فلم يكن له أثر كبير في الساحة الوطنية وكانت كتابته بالفرنسية لا بالعربية.

- طه حسين تعرّض لعدة مواقف جعلته محل اهتمام ونقد، عكس "مصطفى الأشرف" الذي لم يتعرض لأي مضايقات .

[1] المدونة، ص237.

[2] المدونة، ص237.

– عاش "طه حسين" معظم حياته داخل وطنه، أما "مصطفى الأشرف" فكان دبلوماسيا، أي قضى حياته خارج الوطن.

وهذه بعض أوجه التشابه والاختلاف لتبيان موقف هذين الكاتبين تجاه قضايا محددة، وهي الثقافة واللغة ونظرة كل منهما إلى هاتين القضيتين مع المناقشة والتحليل.

1– طه حسين والثقافة:

أما عن الحديث عن "طه حسين" وفكره، فهو يمثّل قمة التأثّر بالثقافة الغربية تحديدا بالفرنسية، « وهو أحد رواد التنوير في الأدب والفكر والثقافة في عصرنا الحديث في الوطن العربي مشرقا ومغربا»[1]، فقد ألّف هذا الكاتب كتاب مستقبل الثقافة في مصر، الذي أثار الكثير من الجدل والنقاش حول ما ورد فيه من قضايا تتصل بالثقافة في مصر والوطن العربي، فقد كان لطه حسين أثر في النهوض بالثقافة المصرية، وقد كان يؤمن « بأن مستقبل الثقافة في مصر يتعلق بالانتماء إلى البحر الأبيض المتوسط وإلى المغرب»[2]، أي يدعوا إلى فكره الغربي.

يريد "طه حسين" في هذا الكتاب أن يتخلص من الشعور بالدونية التي يحسها الفرد المصري عندما يزور الغرب، فهو يؤمن بأن الانتماء الحقيقي إلى الحضارة الغربية وإلى البحر المتوسط وبالأخص إلى التاريخ القديم "الفرعونية"، وتحدث "طه حسين" عن قضية أخرى مهمة هي قضية الدين واللغة وارتباطهما بالقومية، « فرفض القومية ينطلق من ان طه حسين مثل غيره من الفرنكوفونيين يرفض الدولة التي تقوم على الدين واللغة»[3]، لأن الدين واللغة لا علاقة لهما بالسياسة، كما ناقش فكرة الانتماء والحضارة الغربية وصلة مصر بهما، وناقش تكوين الأمم، وقد تعرض إلى التعليم باعتباره الدعامة الأساسية في التربية والتكوين والتقدم، وتحدث عنه بإسهاب كبير، أما عن « وظيفة التعليم عنده هي تحقيق الوحدة الوطنية»[4]، كما أولى

[1] المدونة، ص238.

[2] المدونة، ص239.

[3] المدونة، ص243.

[4] المدونة، ص249.

أهمية كبيرة للجامعة، فرسم لها صورة مثالية فهي لها دور كبير في التثقيف والحضارة والتنمية في مختلف المجالات.

فقد تحدث الكاتب في كثير من المواضع والقضايا التي تخص التعليم والثقافة، وصولا إلى دور المثقفين في مصر وما قدموه للشعب والوطن رغم العراقيل والصعوبات التي واجهتهم، فهو يقر بدورهم وجهودهم في بناء صرح الثقافة الوطنية « ويستعرض مختلف الجوانب والظروف التي تحيط بالإنتاج الأدبي والثقافة، ويقارن بين الوضع في مصر وبينها في الدول الراقية التي تؤمن بالثقافة ودورها ووظيفتها في تهذيب النفوس وترقية المشاعر ونهضة الشعوب»[1]، ويطالب بحرية الأديب والمثقف، ويؤمن بالخصوصية في الثقافة، فهي خاصية إنسانية عمومية شمولية، وهو متعصب للثقافة المصرية، فقد ألم بجميع جوانب الثقافة العربية في مصر.

2- طه حسين واللغة:

لقد اهتم "طه حسين" باللغة كباقي المثقفين في الأقطار العربية « فالثقافة تحققها اللغة أساسا، على اختلاف رموزها ومفاهيمها ومضامينها وعلومها وآدابها المختلفة، والألوان والأساليب والغايات والوظائف»[2]، فاللغة ليست مجرد قالب لمجموعة العواطف والخواطر، فهي روح أصحابها الذين يستخدمونها، ولهذا تعتز الشعوب والأمم بلغتهم وثقافتهم الخاصة، فاللغة العربية هي ميزة الأمة العربية ، فطه حسين ينظر إلى العربية على أنها مصرية، فهي عنده لغة مصرية تمثل العنصر الأساسي في الثقافة الوطنية وبغيرها لا تكون الثقافة، فهو يدافع عنها بحماس ولا يدعو إلى استعمال اللهجات المحلية، وهذه ميزة لديه عكس أمثاله من الفرنكوفونيين في المشرق والمغرب، وهو يسعى إلى تطوير اللغة العربية، فقد « ألف كتابه الذائع الصيت في الأدب الجاهلي بحيث ألح على التدريس بالعربية الفصحى، ونقد المناهج التي تدرس بها هذه

[1] المدونة، ص255.

[2] المدونة، ص259.

اللغة مما يؤكد غيرته عليها»[1]، فهو يلوم الذين يتكلمون العربية والمدرسين والمشرفين عليها وعلى من يضع البرامج التعليمية، فليس العيب أو القصور في اللغة العربية بل في أصحابها والمسؤولين عليها، فاللغة العربية عنده هي لغة مصر وهي مؤثر قوي في حياتهم وتعاملاتهم، وينظر إليها نظرة علمية دقيقة وطنية، ويعتبرها لغة الأجداد من جهة ولغة الأجيال القادمة من جهة أخرى، فهي تبقى في جوهرها تحمل فكرا معينا، « أما معاركه مع غيره تجاه هؤلاء وأولئك فإنها دارت حول جمود اللغة والتجديد فيها، فهو من أصحاب الرأي الأخير»[2]، فهو يرى أن الجمود يميت اللغة ولكن يرفض كذلك الاندماج التام مع الثقافات واللغات الأخرى، فذلك يذيب الشخصية فطه « يختلف تماما عن الفرنكوفونيين مشرقا ومغربا الذين يفصلون بين اللغة والفكر، حتى يمكنهم الفصل بين العربية والعروبة وتصبح اللغة –كما رأينا– مجرد وسيلة آلية لا تحمل شعورا قوميا»[3]، وهو يرفض استخدام اللغة العامية وكذلك اللهجات المختلفة، فهي لغة شعب ككل مسلما ومسيحيا، فلا يميز بين دين ودين آخر، فيما يتصل باللغة مصرية، كما تناول موضوعا آخر وهو تعليم اللغات الأجنبية في الأراضي المصرية، « نبه فيها الدولة والمثقفين والمواطنين إلى خطر المعاهد وما تقدمه للنشأ خوفا عليه من الاندماج في الغرب وحضارته والابتعاد عن حضارته وثقافته الوطنية الأصلية، والتخلي عن قيمه وأخلاقه وتقاليده»[4]، ويخص بذلك الأطفال الصغار، فيجب تعلم اللغة الأم وإتقانها أولا، ثم التطرق إلى اللغات الأخرى، ثم خلص طه حسين إلى موضوع الترجمة، حيث حث المثقفين على العناية بالترجمة لما لها من أهمية كبرى في اللغة والثقافة، فمن جهته ألم بجميع جوانب اللغة العربية ودافع عنها وكان من أحد المجددين فيها.

---

[1] المدونة، ص263.

[2] المدونة، ص267.

[3] المدونة، ص268.

[4] المدونة، ص277.

3- مصطفى الأشرف والثقافة:

اختار "عبد الله الركيبي" المثقف الجزائري "مصطفى الأشرف" كنموذج، لأنه يندرج في التيار الوطني الاقليمي الفرنكوفوني الذي يشترك فيه مع "طه حسين"، وكذلك في الإيمان بالغرب وبالثقافة الفرنسية، إلى جانب بعض الاختلافات والتشابهات الأخرى، أغنى الناقد الفكر السياسي الجزائري والعربي بمقالاته في هذا المجال، لكن لم تكن لديه كتابات أدبية لأنه يعتبر كاتبا سياسيا من الدرجة الأولى.

ويتحدث عن ثقافته والثقافة تكون مرتبطة بالواقع، وقد تعرض لنقد شديد من قبل لفيف من الكتاب والنقاد والأدباء منهم "بوربون"، الذي انتقد بعده عن وطنه واستقراره في فرنسا وحديثة عن الثقافة الجزائرية، فيقول "مصطفى الأشرف" « أن المثل الأعلى للكاتب وعلمه الخلاق ووطنيته ووفائه لأهله لا يمكن أن تحصر بحدود مبنية على اعتبارات قليلة الإقناع والمنطقية»[1]، فهو يؤمن بثقافته الجزائرية وبشعبه ووطنه « فإنه لا يتناقض مع نفسه أو موقفه ومثله في ذلك "طه حسين" أي النظرة الإقليمية مع فارق كبير، كما لاحظنا كذلك التوجه إلى الغرب هو نابع من إيمانه بأن الجزائر أمة لها قوميتها الخاصة ولا يمثل جزءا من الأمة العربية، وربما لا يرتبط بها بأية روابط ما عدا التاريخ»[2]، فهو غير مقتنع بالوحدة العربية، ويدعو إلى ثقافة جزائرية تتجه إلى الغرب، ويتعرض الكاتب في كتابه "الجزائر أمة ومجتمع" إلى الصراع الثقافي الذي يجري بين الشرق والغرب بالنسبة للدول المغلوبة على أمرها ومنها الجزائر، فالمثقفون في حيرة من أمرهم هل يتبعون الشرق أو الغرب أي الأصالة أو المعاصرة، وركز اهتمامه على الثقافة السياسية في أدبيات الحركة الوطنية، « وهي ثقافة تهتم بالنضال السياسي ضد الاستعمار، وربما لأنه لم يجد هذه الثقافة التي تتمثل في الإنتاج الفكري والأدبي فاضطر إلى الخوض في الجانب السياسي، حتى أنه يعتبر أن الثقافة السياسية هي التي

[1] المدونة، ص291.

[2] المدونة ، ص296.

تكتشف الأبعاد الحقيقية الملتزمة أو الثقافة بمعناها المتعارف عليه»[1]، لكن هذا لم يتحقق في ظل الاستعمار الفرنسي الذي حاول القضاء على الثقافة، كما تحدث "مصطفى الأشرف" في كتابه "الجزائر أمة ومجتمع" عن الثقافة العربية في ماضيها الزاهر وعن ما تعانيه في الحاضر، أي قارن بين الزمنين، فيشيد بماضي الثقافة الزاهر وبالعلماء الذين أثروا في الثقافة والحضارة الأوروبية يذكر منها تأثير العرب في إسبانيا « فإسبانيا التي عاشت تحت الاحتلال العربي منذ مدة طويلة ما كادت تسترد الحكم حتى أخذت –عن طريق الترجمة والتبسيط– تنهل من تيار العلوم العربية والفكر العربي، وتعمل على نشرها في أنحاء شبه الجزيرة الإيبيرية وأوروبا الغربية»[2]، فمصطفى الأشرف جميع كتاباته تنطلق من كونه رجلا سياسيا عكس طه حسين فهو رجل ثقافة، فخطاب الأشرف معظم الأحيان « سياسي تربوي علمي موضوعي يهدف إلى اقتراح حلول ومناهج معينة لتطوير هذه الثقافة المنشودة»[3]، فرغم الجهود والمحاولات التي قام بها "مصطفى الأشرف" في مجال الثقافة إلا أنه بقي منظرا سياسيا فقط، وقد كان شجاعا في طرح القضايا الثقافية والسياسية إلا أنه لم يحدث اختلافا بارزا أو أثرا كبيرا في هذا المجال.

4- مصطفى الأشرف واللغة:

هو من المثقفين الجزائريين الذين يمتازون بالازدواجية أو الثنائية اللغوية، فهو يتقن اللغة العربية وكذلك الفرنسية، فهو ينظر إليها باعتبارها ضرورة فرضتها الظروف لا اختيارا حتميا، ويهتم "مصطفى الأشرف" خاصة بالتعليم، ولا يعير اهتماما للحياة العامة وهذا مقارنة بـ"طه حسين" الذي يرفض الازدواجية شكلا ومحتوى، لأنه يدرك أثرها في تربية وتكوين شخصية الفرد الوطنية، فإن موقف الأشرف من الثنائية أو الازدواجية « يتصل بنظرته إلى اللغة ووظيفتها

[1] المدونة ، ص298-299.

[2] مصطفى الأشرف، الجزائر أمة ومجتمع، تج: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، (د.ط)، 2007، ص437.

[3] المدونة، ص303.

فهو يعتبرها أداة محايدة لا تحمل فكرا أو لا تتأثر بفكر أصحابها والمتكلمين بها»[1]، أي أن وظيفة اللغة ليست التعبير عن الشخصية والقومية لكن تنقل المعارف والعلوم فقط، وهذا يتناقض مع رأي آخر له يعتبر فيه اللغة مقوما من مقومات الأمة، واللغة تؤثر فيها عدة عوامل منها العوامل الخارجية التي قد تقضي على لغة أقوام، فالجزائر مثلا « حاول الاستعمار الفرنسي القضاء على لغتنا بالقانون والقرار والاضطهاد والمصادرة والتعليم الإجباري القسري وغيرها من وسائل نعرفها جميعا، مما جعلها تضعف إلى حد التجمد»[2]، فقد تراجعت اللغة العربية وطغت العامية على الحياة ككل، وبفضل جهود بعض المثقفين مثل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لما بقي من هذه اللغة شيء، هذا أثناء الاستعمار، أما بعد الاستقلال فإن الظروف الداخلية والخارجية هي التي فرضت الفرنسية على الشعب، ذلك لأن الحكم في أقطار المغرب العربي هو الذي مكن الفرنسية من البقاء والتجذر في هذه الأقطار، فبعد الاستقلال إلى يومنا هذا نجد الفرنسية هي المسيطرة في الإدارة وفي الوظائف على اختلاف مستوياتها، لكن نجدها بنسبة أقل في مجال التعليم، ثم يتطرق إلى التعريب فيعتبره « مجرد شكل ولكن لا بد من تحقيقه»[3]، أي يجب أن يتحقق باعتباره من الأولويات، لأن التعريب هو الأساس الذي يبنى عليه استردادنا لثقافتنا الوطنية، ولكن اعتبار اللغة محايدة أو التعريب شكلا جعل الكاتب يهتم بالعامية ويعتبرها لغة، فالجزائر في نظره احتفظت « بلغتها الدارجة التي لا تعتبر مجرد لهجات، بل كثيرا ما تستعمل في نوع من الثنائية اللغوية المفيدة في أغراض التعامل والتفاهم»[4]، وهذا يتناقض مع رأي "طه حسين" الذي رفض إطلاق مصطلح لغة على الدارجة، واعتبارها مجرد لهجة، وفي الأخير تحققت بعض أفكار وآراء "مصطفى الأشرف" على أرض الواقع، فعربت الجزائر رغم كل المعوقات التي واجهت التعريب.

---

[1] المدونة، ص307.

[2] المدونة ، ص309.

[3] المدونة ، ص313.

[4] مصطفى الأشرف، الجزائر أمة ومجتمع، م.س، ص416.

وفي خاتمة هذا الفصل نخلص إلى مجموعة من النتائج أهمها:

– إن الفرنكوفونية طاغية على جميع المجالات وهي تسعى دائما إلى محو الثقافة العربية الجزائرية، لكن العروبيين كانوا دائما لها بالمرصاد دافعوا عن الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية.

– بعد أحداث أكتوبر دخلت الجزائر في صراع في مختلف المجالات، والسبب الرئيسي في هذه الفترة الحالكة التي مرت بها الجزائر هي الفرنكوفونية فهم الذين تولوا الحكم.

– بعد حرب الخليج انتشر نوع من الوعي، وعي جديد لدى الفئات المثقفة أعادت للشعب شعوره بهويته وعروبتيه.

– فكر "طه حسين" متعلق بالثقافة الغربية، لكنه ساهم في النهوض بالثقافة العربية والمصرية، فقد ألم بجميع جوانب الثقافة العربية في مصر.

– تمثل اللغة عند "طه حسين" عنصرا أساسيا في الثقافة الوطنية.

– رفض "طه حسين" استخدام اللغة العامية واللهجات المختلفة.

– إيمان "مصطفى الأشرف" بالثقافة الغربية وبالثقافة الفرنسية خاصة، كما يؤمن الناقد بالثقافة الجزائرية وبشعبه ووطنه.

– يدعو "مصطفى الأشرف" إلى ثقافة جزائرية تتجه إلى الغرب، فهو يعتبرها ذات لسانين عربي وفرنسي، وقد اقترح حلولا ومناهج عديدة لتطويرها.

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال مقاربة كتاب "الفرنكوفونية مشرقا ومغربا لعبد الله الركيبي"، والنتائج الفرعية التي توصلت إليها يمكن أن نصل إلى النتائج التالية:

- لم يتأثر المشارقة كثيرا بالفرنكوفونية بل كان تأثيرها إيجابيا نوعا ما، فساهمت في تطور الثقافة العربية والأدب العربي.
- أما في المغرب العربي فقد تخلى العديد من الأدباء عن الثقافة العربية وعن الأدب العربي واندمجوا في الثقافة الفرنسية ودافعوا عن بقائها بعد الاستقلال –إلا ما نذر–.
- سيطرت الطبقة الفرنكوفونية على الحكم بعد الاستقلال مما جعلها تترسخ في جميع الميادين، لكن مع وجود ومضات ضئيلة لعملية التعريب من قبل المؤمنين به.
- في الجزائر اللغة والثقافة الفرنسية موغلة منذ القدم ومهيمنة على الحياة بصفة عامة.
- رغم توغل الفرنكوفونية في الجزائر إلا أنّ العربية بدأت تسترد مكانتها تدريجيا، وظهور جيل جديد يؤمن بها، وهذا الجيل الجديد سيغير من مجرى الثقافة العربية والأدب العربي في الجزائر وفي أقطار المغرب العربي الأخرى.
- رغم استخدام الأدباء والمثقفين لغة أجنبية في هذه المنطقة إلا أن نظرتهم كانت وطنية تنبع من أصول عربية.

- مثل هذه الكتب النقدية، تسهم إلى حد بعيد في إثراء الساحة النقدية الجزائرية والعربية، وتسليط الضوء على ظاهرة "الفرنكوفونية" بهذه الشاكلة يشئ بعمق الرؤيا لدى "الركيبي" ومدى خطورة الموضوع من جهة أخرى.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

I- قائمة المصادر:

1. عبد الله الركيبي، الفرنكوفونية مشرقا ومغربا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، ط1، 2009.
2. ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تج: د/ النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخناجي، ج1، ط1، 2000.
3. أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تج: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1979.

II- قائمة المراجع:

أ- بالكتب بالعربية:

1. أحمد شايب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة الاعتماد، القاهرة، مصر، ط3، 1946.
2. أحمد طالب، الأدب الجزائري الحديث/ المقال القصصي والقصة القصيرة، دار المغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، (د.ط)، 2007.
3. أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره وقضاياه، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013.

4. عبد الإله بلقزيز، الفرنكوفونية: أيديولوجيا- سياسة- تحد ثقافي- لغوي، حلقة نقاش نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيت النهضة، لبنان، ط1، 2011.

5. عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1983.

6. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007.

7. مرتاض عبد المالك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الزائر، ط2، 1983.

8. يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر: الأنسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، ط1، (د.ت).

ب- الكتب المترجمة:

1. مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، (د.ط)، 2007.

III- المعاجم:

1. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

2. شريبط أحمد شريبط وآخرون، معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين، كلية الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، مخبر الأدب المقارن، جامعة باجي مختار عنابة، (د.ط)، (د.ت).

IV- مقالات:

1. جيروم شاهين، هل الفرنكوفونية لغة أو سياسة؟، جريدة المستقبل، بيروت، لبنان، الثلاثاء 13 كانون الأول 2011.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان .....

إهداء .....

مقدمة..... أ – ب

مدخل ..... 1 – 6

تمهيد 2

1- المخاطب: [عبد الله خليفة الركيبي] ..... 2 – 4

2- الخطاب: [كتاب الفرنكوفونية مشرقا ومغربا] ..... 4 –6

3- منهجية البحث 6

الفصل الأول: قراءة في الباب الأول (الفرنكوفونية بين السياسة والثقافة والأدب) 8–29

تمهيد: 8

1- النقد الأدبي الجزائري القديم 8–9

2- النقد الأدبي الجزائري الحديث 9–10

3- الفرنكوفونية 10–13

المبحث الأول: بين الفرنكوفونية والأنجلوسكسونية 14–17

المبحث الثاني: الفرنكوفونية: نشأتها وتطورها 18–20

المبحث الثالث: جذور الفرنكوفونية وارتباطها بالفكر الإقليمي في المغرب العربي 21–24

المبحث الرابع: الفرنكوفونية بين الأدب والثقافة في المغرب العربي 24–29

الفصل الثاني: قراءة في الباب الثاني والثالث من الكتاب(الفرنكوفونية في الجزائر ونماذج تطبيقية من المشرق والمغرب) 31–46

تمهيد 31

المبحث الأول: الفرنكوفونية في الجزائر وموقفها من الاتجاه القومي 32–38

1- الوجه القديم للفرنكوفونية قبل 1988م 32-35
2- الوجه الجديد الفرنكوفونية بعد 1988م 35-38
المبحث الثاني: نموذجان للتطبيق من المشرق والمغرب 39-46
1- طه حسين والثقافة 40-41
2- طه حسين واللغة 41-42
3- مصطفى الأشرف والثقافة 43-44
4- مصطفى الأشرف واللغة 44-46
الخاتمة 48-49
قائمة المصادر والمراجع 51-53
الملخص .....